أيـــــام
حـــول الكعبـــة

جهاد حجاج

مكتبة الإيمان ـ المنصورة

ت/ ٢٢٥٧٨٨٢

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة الإيمان - المنصورة

أمام جامعة الأزهر

ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

الإهداء

إلى كل حجر من أحجار الكعبة المشرفة أهدى هذا الكتاب وإلى كل من حج بيت الله الحرام وكل من تشتاق نفسه إليه وإلى كل من يحاول أن يعيد للأمة الإسلامية والعربية كل ما كانت عليه من حضارة وتقدم جعلتهم يقودون هذا العالم بهذا الدين خير أديان الأرض وبما فتح الله عليهم من نور القلب والعقل وإلى جميع أبناء قريتى .

جهاد محمد حجاج

السجاعية . المحلة الكبرى . غربية

المقـدمـة

لم تكن العرب كغيرها من الشعوب بل كانت تسجل أحداثها وتفخر بها فكانت فى حياتها أيام خالدة مثل يوم الفتح الأعظم ويوم بدر ويوم حنين ويوم ذى قار وغيرها من أيام العرب الخالدة .

كما كانت للعرب بيوت يتعبدون حولها ويعظمون هذه الأيام . مثل بيت نجران وبيت غطفان ولكن كان أعظم هذه البيوت هو بيت الله الحرام «الكعبة المشرفة » لِمَ لها فى نفوس العرب من مكانة مقدسة وغالية عندهم وعند كل من سبقهم لأنهم كانوا على علم بالغ بأن الله سبحانه وتعالى أنزل هذه الكعبة المشرفة من السماء قبل خلق السموات والأرض بألفى عام كما أن الله أنزلها من السماء ياقوتة بيضاء وقيل خضراء. كما أن الله سبحانه وتعالى قد خصها بالفضائل العديدة وذلك بأن جعلها القبلة الأولى ولا ينقطع عنها الطواف ليلاً ولا نهارًا وأنها قبلة سيدنا محمد ﷺ ، كما أن الله سبحانه وتعالى قد جعلها خامس خمسة عشر بيتا سبع منها فى السموات وسبع منها فى الأراضين وهى أوسطهم على الأرض خصوصا أن قواعدها فى الأرض السابعة وأن الطيور تطوف بها كما يطوف الناس ولا تمر من فوقها ولا تبول حولها وأن الله سبحانه وتعالى قد رفعها إلى السماء فى زمن طوفان سيدنا نوح عليه السلام .

كما أن الله سبحانه وتعالى قد حفظها من الجبارين فلم يتجرء أحد عليها بأن نسبها إلى نفسه وأن كل من أرادها بسوء أهلكه الله .مثلما أهلك أبرهة . كما أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لها فضائل عديدة ومنزلة غالية

فى نفوس عباده . وقد أعيد بناؤها مرات ومرات عديدة فقد كان أول من بناها هم الملائكة ثم سيدنا آدم وابنه من بعده وكذلك سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام وقد أعادت العماليق وقبائل جرهم من بعدهم بناءها وكذلك قصى بن كلاب وقريش وعبد الله بن الزبير والحجاج بن يوسف الثقفى وكان آخر بنائها على يد السلطان مراد بن السلطان أحمد أحد سلاطين الدولة العثمانية عام ١٠٣٩هـ . وقد ذكرنا فى هذا الكتاب أسماء الكعبة وفضلها وقصة المحمل وبئر زمزم وغسيل الكعبة وأخبارها فى الجاهلية حتى هذا العصر وعبادة الأصنام وأخبارها فى زمن الطوفان وكذلك الحجر الأسود وتخريبها فى آخر الزمان والعديد من الموضوعات الأخرى.

جهاد محمد حجاج

أسماء الكعبة ومكة

أسماء الكعبة

كانت الكعبة وما زالت لها العديد من الأسماء العديدة وهذا إن دل على شيء إنما يدل على رفعة مكانتها فى نفوس المسلمين وكانت هذه الأسماء هى [البيت المعمور - البيت العتيق - القبلة - الدوار - الحماء - أم رحم - صلاح - كوتى - الباسة (١) .

وقد سميت الكعبة بالبيت العتيق لأنها عتقت من الجبارين ولأنه لم يتجرء عليها أحد إلا قسمه الله عز وجل ولأنه لم يتجرء أحد أن ينسبها إلى نفسه .

وقد عظم الله سبحانه وتعالى الكعبة ليعظمها أهل الأرض فعلى أرضها يغفر الله الذنوب ويحط عن عباده الخطايا .

البيت الحرام (٢) :

قال تعالى : ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة : ٩٧] .

وقيل : إنها سميت بالبلد الأمين لأن الله سبحانه وتعالى قد حرم عليها الطوفان وأن الله قد رفعها إلى السماء.

وقيل: لأن الصائرين إليها كانوا يحرمون على أنفسهم أشياء كانت تحل لهم فى بلادهم .

وقيل: سميت بالبلد الحرام لأن الله سبحانه وتعالى حرم على أهل مكة أن يقربوها بدماء الذبائح والأقذار كما كانوا يفعلون من قبل فى زمن

---

(١) أخبار مكة ص ١٨٩ . (٢) تفسير فخر الدين الرازى ص٣٥٢ م٤ .

جهليتهم (١) . وقيل لقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] .

البيت المعمور :

قيل سميت بالبيت المعمور لقوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝﴾ [الطور : ١-٣].

البيت العتيق (٢) :

قيل: سميت بالبيت العتيق لأن الله سبحانه وتعالى أعتقه من الغرق فى زمن طوفان سيدنا نوح عليه السلام وأن الله رفعها إلى السماء. وقيل: لأن من زارها أعتقه الله من النار وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝ ﴾ [الحج] ولقوله تعالى : ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩] .

وقيل: معنى العتيق أى القديم وهذا دليل على بناء الملائكة لهذا البيت قبل بناء سيدنا آدم عليه السلام له . كما أن الله سبحانه وتعالى قد حرم القتال فيه وكذلك الصيد .

من أسماء مكة

مكة هى البلد التى شرفها الله سبحانه وتعالى بأن جعل فيها بيت الله الحرام ومكة لها أسماء عديدة نذكر منها :

[البلد الأمين - بكة - البلدة - مهبط الوحى - البلد - البساسة - أم

(١) تفسير فخر الدين الرازى ص٣٥٩ م٩.
(٢) أخبار مكة ص١٨٩.

القرى - أم رحم - البشاشة - كويساء - الحاطمة] [١] .

١ - البلد الأمين :

قال تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٣) ﴾ [التين : ١-٣] .

سميت بهذا الاسم لأن أهلها كانوا يتقاتلون طوال العام ولأنهم كانوا يحرمون القتال فى الأشهر الحرم فتكون أمان لمن دخلها فى هذا الوقت .

حتى أنهم كانوا يحرمون على الابن أن يقتل قاتل أبيه فى هذا الوقت وفى هذا المكان الحرام . ولأنهم يكونون آمنين على أنفسهم وكل مالهم فى هذه الأشهر الحرم ولأن هذه الشهور تكون شهور تجارة وخيرات ولقوله تعالى : ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ [البلد: ١] ولأن الله سبحانه وتعالى قد حرم على المسيح دخول مكة والمدينة.

٢ - بكــة :

لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ الآية [آل عمران : ٩٦] .

وقيل سميت بكة [٢] لأن الرسول ﷺ قد بكا فيها كثيرا من أهلها وعلى أهلها .

---

(١) تفسير فخر الدين الرازى ص١٩ م٣.

(٢) تفسير فخر الدين الرازى ص٣٥١ م٤.

٣ ـ ماكورابا :

ذكر بطليموس[١] فى كتبه هذا الاسم وقال: إن معناه مقدس والمقصود به مكة وقد ذكر « بروكمان » أن كلمة مكة مشتقة من كلمة مكرب أو مقرب العربية الجنوبية وقال : إنها مشتقة من كلمة «مك» البابلية وقال الإمام فخر الدين الرازى: معناها البيت وهى وسط الأرض وذكر أن جميع العيون والينابيع تنبع من تحت مكة .

٤ ـ أم القرى :

سميت مكة بأم القرى [٢] لقوله تعالى : ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الشورى : ٧] وقيل : إنها أقدم قرى الجزيرة العربية وأعظمها على الإطلاق ولأن أهل القرى المجاورة كانوا يلجأون بها طمعًا فى رحمة الله سبحانه وتعالى ورضاه ولقضاء الفرائض والمناسك .

فضل مكة :

مكة هى أم القرى وهى أحب البلاد إلى قلب رسول الله ﷺ لقوله: « إنك أحب البلاد إلى ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت » وهذا دليل على مكانة مكة وفضلها عند الله وعند رسوله ﷺ وعند كافة جميع الخلائق .

وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها: « لولا الهجرة لسكنت مكة فإنى

---

(١) جريدة منبر الإسلام ص١٤٣ العدد رقم ٢ لسنة ١٤٢٠هـ .

(٢) تفسير الرازى ص٣٥١ م٤ .

لم أر السماء أقرب إلى الأرض منها بمكة ولم يطمئن قلبى إلا بمكة قط ولم أر القمر بمكان أحسن منه إلا بمكة » .

وقال رسول الله ﷺ: « إنها لم تحل لأحد كان قبلى ولا تحل لأحد كان بعدي وما أحلت لى إلا ساعة من نهار » وهذا دليل على مكانة رسول الله ﷺ وهذه المكانة تدل على الفضل الكبير لرسول الله ﷺ عند ربه وفضل البلد التى ولد بها وعاش بها وأحلت له.

فضل الكعبة

فضائل الكعبة

١ ـ تحريمها على الرجال :

لقد فضل الله مكة لما فيها من مقدسات ولوجود بيت الله الحرام فيها والكعبة المشرفة وقدس كل ما فيها وكل ما حولها وحرم [١] على المسيخ الدجال دخولها وجعلها أمنًا لكل إنسان وحيوان وطير وكل من يسكنها وزاد من مكانتها فى قلوب كل الخلائق وجميع العباد ومن فضائل الكعبة أن الله سبحانه وتعالى قذف بالشوق إليها فى قلوب عباده لأنها أشرف وأقدس بقاع الأرض لأنه لا يوجد على هذه الأرض بناء أشرف من الكعبة المشرفة .

٢ ـ اختفاء حصى الجمار [٢] :

برغم هذه الأعداد الكبيرة التى تحج بيت الله الحرام والتى تدل على أضعاف الجمار التى يرمونها كل عام إلا أن هذه الجمار لا يكون لها أى وجود أو أى أثر فى العام الذى يليه لأنها تختفى بقدرة الله سبحانه وتعالى دون أن يقربها أحد منذ آلاف السنين وبرغم أن هذا المكان ليس محل سيل أو مطر وليس مكان مهب رياح وقيل: إن السبب فى ذلك أنه من كانت حجته مقبولة ترفع جمارته إلى السماء.

٣ ـ طواف الطيور :

قيل : إن من فضائل الكعبة أن الطيور الموجودة بالحرم تطوف به كما

(١) تفسير الرازى ص٤٠٥ م٢.

(٢) تفسير الرازى ص٣٤٨ م٤.

يطوف الناس ولا تبول حولها ولا تمر من فوقها [١] .

٤ ـ عدم الاعتداء عليها أو هدمها :

برغم مرور آلاف السنين إلا أنه لم يتمكن أحد من الجبارين من الاعتداء عليها أو هدمها مثلما فعل بختنصر [٢] عندما قام بهدم بيت المقدس من قبل .

٥ ـ عدم الأذى حولها :

ومن فضائل الكعبة أن الوحوش والطيور الجارحة لا تؤذى غيرها ولا تعتدى على أحد موجود حول الكعبة ولا تصطاد فريستها مهما بلغت بها شدة الجوع [٣] .

٦ ـ بناء الكعبة :

الذى رفع قواعد الكعبة سيدنا إبراهيم وابنه سيدنا إسماعيل وأن الذي بنى بيت المقدس هو سيدنا سليمان عليه السلام ومن المعروف أن سيدنا إبراهيم أعظم عند الله من سيدنا سليمان وهذا دليل على أن البيت الحرام أعظم من بيت المقدس .

٧ ـ رفعها فى زمن الطوفان [٤] .

ومن فضائل الكعبة أن الله تبارك وتعالى قد رفعها إلى السماء فى زمن طوفان سيدنا نوح عليه السلام .

---

(١) تفسير الرازى ص٣٤٨ م٤ .

(٢) تفسير الرازى ص٣٤٨ م٤ .

(٣) تفسير الرازى ص ٣٤٨ م ٤ .

(٤) تفسير الرازى ص ٣٤٨ م٤ .

٨ ـ حفظها من أبرهة [١] .

الله تبارك وتعالى حفظها من أبرهة عندما حاول الاعتداء عليها ويذكر أن فيل أبرهة كان كلما وجهوه إليها يبرك فى الأرض وإذا استدار[٢] عنها هرول وأسرع فى السير .

٩ ـ الله حفظها من الجبارين :

لم يسكن حول بيت الله الحرام ولا فى مكة أحد الجبارين ولم يتجرأ أحد على أن ينسب البيت إلى نفسه [٣] مثلما فعلوا بالبيوت الأخرى.

١٠ ـ مضاعفة ثواب العبادة بجوارها :

ومن فضائل هذا البيت أن العبادات والطاعات والشعائر التى تؤدى حولها أن الله يضاعف ثوابها لأهل هذه الطاعات لقول [٤] رسول الله ﷺ «فضل المسجد الحرام على مسجدى هذا كفضل مسجدى هذا على سائر المساجد» ثم قال «الصلاة فى مسجدى أفضل بألف صلاة فيما سواه».

١١ ـ هدى للعالمين :

ومن فضائل البيت الحرام أن الله جعله هدى للعالمين وأنه أمن من الخوف وأن من أراده بسوء عجل الله له بالعقوبة [٥] ولقول رسول الله

---

(١) تفسير الرازى ص ٣٤٩ م ٤ .

(٢) تفسير الرازى ص ٦٣٨ م ١٦ .

(٣) تفسير الرازى ص٣٥٩ م٤ .

(٤) تفسير الرازى ص٣٥٥ م٤ .

(٥) تفسير الرازى ص٣٥٦ م٤ .

ﷺ: « من مات فى أحد الحرمين بعثه الله يوم القيامة آمنًا » وقال رسول الله ﷺ: « من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه نيران جهنم يوم القيامة مائتى عام » كما أن الله جعل هذا البيت سببًا فى منافع أهل مكة من تجارة وغيرها وعظم هذه البلد وجعل تعظيمها فى قلوب جميع العباد.

وقال رسول الله ﷺ « لا تشد الرحال [١] إلا إلى ثلاث المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا » وقال سيدنا على بن أبى طالب: البيت الحرام هو أول بيت وضع فى الأرض وأول قبلة وأول بيت تعبد فيه الناس لله رب العالمين .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما الطواف بالبيت أفضل لأهل الأمصار والصلاة فيه أفضل لأهل مكة [٢] .

وفضائل البيت الحرام عديدة وعديدة نذكر منها ما ذكره عطاء قائلا: لما هبط سيدنا آدم عليه السلام بأرض الهند قال: يارب مالى لا أسمع صوت الملائكة كما كنت أسمعها فى الجنة . قال الله تعالى: بخطيئتك يا آدم ، فانطلق إلى مكة فإن بها بيت تطوف به كما رأيتهم يطوفون.

ومن فضائل الكعبة أنه لا ينقطع عنها الطواف ليلا ولا نهاراً .

ومن فضائل البيت الحرام أنه أمن من إقامة الحدود [٣] وأنه سبب فى الأجر العظيم والكبير لأهل الطاعات والعبادات لقوله تعالى

(١) تفسير الرازى ص٣٤٤ م٤ .
(٢) تفسير الرازى ص٤٠٨ م٤ .
(٣) تفسير الرازى ص٤٠١م ٢ .

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

ومن فضائل هذا البيت ما ذكره وهب بن منبه قال : إن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم وأهبطه إلى الأرض استوحش [1] آدم من الأرض لما رأى من سعتها وأنه لم يجد أحدًا فيها غيره ـ فقال آدم عليه السلام: يارب أما لأرضك هذه عامر يسبحك ويقدسك غيرى فقال الله سبحانه وتعالى:

إنى سأجعل فيها ذريتك يسبحوننى ويحمدوننى ويقدسوننى وسأجعل فيها بيتًا أرفعه يذكرنى فيه الناس وأخصه بكرامتى وأثره على بيوت الأرض كلها أسميه باسمى وأعظمه . بعظمتى وأخصه بحرمتى وأجعله أحق البيوت كلها وأولاها بذكرى وأضعه فى البقعة اخترت لنفسى فإنى اخترت مكانه يوم خلقت السموات والأرض . أجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرمًا آمنا أحرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتى فقد عظم حرمتى [2] ومن أحله فقد أباح حرمتى ومن أمن أهله فقد استوجب بذلك أمانى ومن أخافهم فقد أخيفه ومن عظم شأنه فقد عظم فى عينى ومن تهاون به فقد صغر فى عينى ، سكانه جيرانى وعماره وفدى وزواره أضيافى أجعله أول بيت وضع للناس وأعمره بأهل السماء والأرض يأتونه أفواجًا شعثًا غبرًا يعجون بالتكبير عجًا ، ويثجون بالتلبية ثجًا فمن اعتمره لا يريد غيرى فقد زارنى وضافنى ونزل بى ووفد على فحق علي أن اتحفه بكرامتى وحق على الكريم أن يكرم وافدوه وأضيافه وزواره وأن يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم تعمره من بعدك الأمم

(١) تفسير فخر الدين الرازى ص٤٠٥ م٢.
(٢) تفسير فخر الرازى ص٤٠٥ م٤.

والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة [١] وقرنا بعد قرنا ونبى بعد نبى ، حتى ينتهى بعد ذلك إلى نبى من ولدك يقال له: محمد ﷺ وهو خاتم النبيين فأجعله من سكانه وعماره وحُماته وولاته فيكون أمنيًا عليه ما دام حيًا فإذا انقلب وجدنى قد ادخرت له عندى أجره ويتمكن به من القربة والوسيلة عندى ، وأجعل ذكر هذا البيت وشرفه ومجده وسناه[٢] وكرامته لنبى من ولدك يكون قبل هذا النبى وهو أبوه يقال له: إبراهيم عليه السلام أرفع له القواعد وأقضى على يديه عمارته وأعلمه مشاعره ومناسكه وأجعله أمة واحدة قانتًا بأمرى داعيا إلى سبيلى .

أجتبيه وأهديه إلى الصراط المستقيم أبتليه فيصبر وأعافيه فيشكر وآمره فيفعل وينذر لى فيفى ويدعونى فأستجيب لدعوته فى ولده وذريته من بعده وأشفعه فيهم وأجعله أهل ذلك البيت وولاته وحماته وسقاته وخدامه وخزانه وحجابه يتبدلون ويتغيرون [٣] وأجعل إبراهيم إمام ذلك البيت وأهل تلك الشريعة ويأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الجن والإنس .

---

(١) تفسير الرازى ص ٤٠٥ م ٤ .
(٢) تفسير الرازى ص ٤٠٥ م٤.
(٣) تفسير الرازى ص٤٠٥ م٤.

أيام حول الكعبة

أيام حول الكعبة

ما خلق الله شيئًا على الأرض إلا كتب الله له الزوال إلا الكعبة المشرفة فقد مرت عليها أيام وأيام وقد كتب الله لها من يجددها أو من يعيد بناؤها فقد جددت وأعيد بناؤها ونذكر من هذه المرات:

١ ـ نباؤها بأمر الله وهو البناء الأول الذى قامت به الملائكة.

٢ ـ بناء سيدنا آدم عليه السلام.

٣ ـ بناء شيث بن آدم.

٤ ـ بناء سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام.

٥ ـ بناء العماليق .

٦ ـ بناء جرهم.

٧ ـ بناء قصى .

٨ ـ بناء قريش .

٩ ـ وجددت فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب.

١٠ ـ وأعاد بناءها عبد الله بن الزبير.

١١ ـ بناء الحجاج بن يوسف الثقفى.

١٢ ـ بناء السلطان مراد بن السلطان أحمد أحد سلاطين الدولة العثمانية ١٠٣٩هـ.

الكعبة على الماء :

عن سعيد بن سلام عن طلحة. عن ابن عباس أنه قال: كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض وبعث الله تعالى ريحًا هفافة فصفقت الماء فأبرز عن خشفة وهى حجارة انبثقت بالأرض فى موضع الكعبة فكأنها فيه ثم دحا [1] الله الأرض من تحتها فمادت ثم مادت فأوتدها الله تعالى الجبال ولذلك سميت أم القرى.

وعن عثمان بن عبد الرحمن بن هشام قال : خلق الله عز وجل الكعبة قبل أن يخلق أى شىء بألف سنة وإن قواعدها فى الأرض السابعة.

وعن عبد الله بن عمر قال: خلق الله الكعبة قبل الأرض بألف عام ودحيت الأرض تحتها .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أول بقعة وضعت فى الأرض هذا البيت ثم مدت منها الأرض » وقيل : إن الكعبة قد أنزلها الله بقوته من السماء مجوفة .

وذكر الشيخ أحمد البيهقى فى كتابه شعب الإيمان قال : عن أبى ذر قال : سألت رسول الله أى المساجد وضع على الأرض؟ قال رسول الله ﷺ : « المسجد الحرام » قلت : ثم أى ؟ قال «المسجد الأقصى» . قلت : كم بينهما ؟ قال : « أربعون [2] سنة » .

(١) أخبار مكة ص ٤.

(٢) أخبار مكة ص٥ .

وقد روى الواحدى عن مجاهد قال: خلق الله تعالى هذا البيت قبل أن يخلق الأرض وفى رواية قبل أن يخلق شيئًا بألف سنة [١] .

وعن عبد الله بن عمر قال: إن أول بيت وضع على وجه الماء عند خلق السموات والأرض وقد خلقه الله قبلهما بألف عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الأرض من تحته .

بناء الملائكة :

عن محمد بن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم أجمعين قال: قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى بعث الملائكة فقال لهم: ابنوا لى فى الأرض بيتًا على مثال البيت المعمور . وأمر الله تعالى بعد ذلك كل من فى الأرض أن يطوف بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وكان هذا قبل خلق آدم » .

وقال رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه سيدنا معاذ رضى الله عنه . قال: « إن هذا البيت خامس خمسة عشر [٢] بيتًا سبعة منها فى السماء وسبعة منها فى تخوم الأرض السفلى ولكل بيت منها حرمة كحرمة هذا البيت ولو سقط واحد منها لسقطت جميعًا على بعض وذلك لتعامدها، يطوف كل أهل سماء وكل أهل أرض بالبيت الذى أقامه الله لهم» .

بناء آدم عليه السلام :

لما خرج سيدنا آدم عليه السلام من الجنة وهبط إلى الأرض كانت

(١) أخبار مكة ص ٥.

(٢) أخبار مكة ص٥.

رأسه فى السماء وقدماه فى الأرض . فقال آدم: يارب مالى لا أسمع صوت الملائكة ولا أحسهم قال الله عز وجل: خطيئتك يا آدم وأمر الله سبحانه وتعالى أن يبنى البيت الحرام (الكعبة) وأن يطوف حوله وأمره الله أن يذكره حول هذا البيت كما تذكره الملائكة وكما تفعل حول العرش وقام آدم يتخطى فما وقفت قدمه على مكان فى الأرض إلا كان عمرنا وطويت[١] له الأرض إلى أن وصل مكة وأخبره الله بمكان هذا البيت وبنى آدم البيت من أحجار خمسة [٢] جبال هى جبل لبنان وجبل زيتا وجبل طور سيناء وجبل الجودى وجبل طرد وقد عاونته الملائكة فى نقل هذه الأحجار وبعد أن انتهى آدم من بناء البيت قال: يارب لكن لكل أجير أجره . فقال الله تعالى: يا آدم طُفْ بالبيت فطاف آدم وحج فقال الله: يا آدم إنى قد غفرت لك ولمن حج هذا البيت من ذريتك.

بناء شيث بن آدم للكعبة :

عن سعيد بن سالم . قال: لما رفعت الخيمة التى عزى الله بها آدم من حلية الجنة حين وضعت له بكة فى موضع البيت وبعد أن مات آدم عليه السلام . بنى ابنه « شيث » [٣] الكعبة بعده من الطين والحجارة فلم يزل معمور يعمرونه هم ومن بعدهم إلى أن جاء زمن طوفان سيدنا نوح عليه السلام فرفعه الله إلى السماء إلى أن بوأه الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

---

(١) أخبار مكة ص٤ .

(٢) الفقه الواضح ص ٤١٥ .

(٣) أخبار مكة ص١٧ .

بناء إبراهيم عليه السلام :

وبعد أن بنى سيدنا آدم عليه السلام البيت الحرام وطاف به بمرور الأيام، احتاج البيت الحرام إلى إعادة بنائه فبناه شيث بن آدم عليه السلام ومرت أيام وعصور عليه إلى أن رفعه الله فى زمن سيدنا نوح عليه السلام عندما حدث الطوفان وقد تاهت معالم هذا البيت الحرام إلى أن جاء سيدنا إبراهيم عليه السلام فأرشده الله سبحانه وتعالى على مكانه عن طريق سيدنا جبريل عليه السلام وقد ذكر سيدنا على رضى الله عنه بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام أن البيت الحرام انهدم فبنته العماليق ومر عليه الدهر فبنته جرهم ومر عليه الدهر فهدم فبنته قريش وكان الرسول ﷺ وقتها شابًا . وذكر سيدنا على من الذين أعادوا بناء هذا البيت الحرام سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) ﴾ [البقرة : ١٢٧].

وكان بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام للكعبة قبل الإسلام باثنين وعشرين قرنا قبل الإسلام وكان هذا البناء عندما ترك سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه ببلاد آشور وهاجر إلى مدين وبعدها جاءه الأمر أن يهاجر بزوجته وولده إلى مكة بالوادى لتكون على يديه عمارة هذا المكان المعدومة فيه الحياة والزرع والماء فهاجر بهما وتركهما هناك لأمر الله سبحانه وتعالى

وبعد أن تفجرت عين زمزم بقدرة الله سبحانه وتعالى فكانت سببا فى إعمار هذا المكان بعد أن تواجد فيه الماء والعشب الأخضر التى ترعى عليه القبائل العربية حيواناتها . وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام يزور زوجته وابنه من وقت إلى آخر إلى أن جاءه الأمر من الله سبحانه وتعالى ببناء هذا البيت الحرام فكان هو البناء وإسماعيل المساعد وجبريل عليهما السلام المهندس وكان ارتفاع هذا البيت الحرام وقتها تسعة أذرع وطول الضلع الأول من ناحية الحجر الأسود ٣٢ ذراع والضلع الثالث ٢٢ ذراع والضلع الثالث ٣١ ذراع والضلع الرابع عشرين ذراعا [1] .

وبعد أن انتهى سيدنا إبراهيم عليه السلام من بناء هذا البيت أمره الله سبحانه وتعالى أن يؤذن فى الناس بالحج فقال سيدنا إبراهيم عليه السلام: وما يبلغ صوتى قال الله سبحانه وتعالى : عليك الأذان وعلى البلاغ فصعد سيدنا إبراهيم عليه السلام جبل الصفا وجبل المروة وقيل: جبل أبو قبيس وأذن فقال سيدنا إبراهيم عليه السلام : [لبيك اللهم لبيك] فكان سيدنا إبراهيم عليه السلام أول من لبى وقد سمع أذانه وتلبيته كل من كتب الله له حج بيته الحرام حتى من كانوا فى أرحام أمهاتهم وما سمعه حجر ولا بشر ولا شجر ولا مدر ولا أكمة أو تراب إلا لبى معه وسمع أذانه وقد روى ابن عباس أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما أذن للحج تواضعت له الجبال وارتفعت له القرى .

---

(١) أخبار مكة ص١٧ .

بناء العماليق وجرهم للكعبة :

تذكر كتب التاريخ الإسلامى عن مراحل بناء الكعبة من الذين أعادوا بناء الكعبة قبائل العماليق . وكان ذلك فى زمن سيدهم « عموق» [١] عندما هتف فى قومه يدعوهم إلى الفضائل قائلا: يا قوم ابقوا على ما أنتم عليه لقد سمعتم عَمَّنْ كانوا قبلكم من قوم هود وصالح وشعيب من هلكة لما خالفوا واقترفوا من ذنوب ومعاصى فلا تفعلوا ما أنتم عليه ولا تستخفوا بحرم الله وموضع البيت وإياكم والظلم والإلحاد فيه لأن الله يقطع من يفعل ذلك وإن فعلتم ذلك لن يبقى الله لكم باقية ولكن لم يكن لكلامه عندهم استجابة فبعث الله عليهم قبائل جرهم الذين أتوا من اليمن بسبب الجدب هناك وضيق المعيشة .

فلما وصلوا إلى مكة وجدوا فيها ماء طيبا وعشبًا أخضر وكان سيدهم « مضاض بن عمر » فكانت هذه القبيلة لا تخرج إلا ومعهم سيدهم «مضاض بن عمر » لأن ذلك كان سنة فيهم وقد رافقتهم قبيلة أخرى فى هذه الرحلة إلى مكة وكان سيدهم يقال له: « السميدع » فكانوا عونا ومددًا لهم . وعاشت العماليق وجرهم حول الكعبة أيام وأيام وإلى أن منعت جرهم العماليق الماء وقال لهم سيدهم «عموق» ألم أقل لكم لا تستخفوا بحرم الله فيسلط الله عليكم عباده ووصل الأمر إلى أن نزعت جرهم من قبائل العماليق ولاية البيت الحرام وكانت لهم السيادة والرفعة عليهم . وظل الوضع على ذلك إلى أن جاء سيل عظيم فهدم الكعبة فقامت جرهم ببناء الكعبة على ما بناها سيدنا إبراهيم عليه السلام وكان الذى ببنى البيت

---

(١) أخبار مكة ص٤٢ .

بيديه منهم رجل يقال له «عمر الجدار» ولذلك سموا بعد ذلك ببنى الجدار ومرت الأيام واستخفت جرهم بالبيت كما استخفت به العماليق فحذرهم سيدهم «عمرو بن مضاض» [1] بما هم عليه من البغى قائلا لهم: « ما استخف قوم ببيت الله الحرام إلا أخرجهم الله منه » ووصل الأمر بهم إلى أن سرقوا بئر الكعبة وأخذوا ما فيه من الهدايا والنذور . ولكن الله بعث حية سوداء الظهر بيضاء تحرس هذا البيت لأكثر من خمسمائة عام ، بعدما بنت العماليق البيت وبنته جرهم .

بناء قصى بن كلاب للكعبة :

جاء في كتاب أخبار مكة للأزرقى أن من الذين بنوا الكعبة قصى بن كلاب . وقد ذكر أن خزاعة ظلت لها ولاية البيت الحرام أكثر من خمسمائة عام وقد صدوا عن هذا البيت الحرام كل معتدى وكل من يحاول هدمه وكانوا يقاتلون من أجله قتالا شديدًا وكانوا ينحرون حول الكعبة ومرت الأيام على ذلك إلى أن جاءتهم قبائل قضاعة وفيهم «ربيعة ابن حرام» [2] والذى يرجع نسبه إلى زيد بن كلاب الذى هلك وبقى من نسله « قصى بن كلاب » [3] وكان قصى له أخت تسمى « زهـرة » فتزوجت « ربيعة بن حرام » .

وقد عايره قائلا لقصى لا أهل لك ولا حسب ولا نسب فذهب إلى أمه وأخبرها ما حدث له فقالت له: أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن

---

(١) أخبار مكة ص ٤٣ .

(٢) أخبار مكة ص٤٤ .

(٣) أخبار مكة ص ٥٦ .

لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن نضرة بن كنانة قومك عند البيت الحرام.

فأجمع قصى على الخروج إلى أهله وكان سفره فى الأشهر الحرم ليكون الطريق آمنًا وتزوج بنت سيد خزاعة وكانت ولاية الكعبة لهم وقتها فولدت له عبد الدار وعبد مناف وغيرهم وظل مع صهره إلى أن آلت إليه مفاتيح الكعبة وولاية البيت الحرام ثم أرسل إلى رجال من قومه ليعيشوا معه ولكن حدثت حرب بين خزاعة وقريش وكانت بينهم قتلى عديدة إلى أن تدخل رجل يقال له: « يعمر بن عوف »[1] وعرض الصلح عليهم وحكم بأن تكون حجابة البيت وولايته وأمر مكة لقصى ابن كلاب وسلمت خزاعة له بذلك فأصبحت له أيضا الحجابة والسقاية والرفادة والسدانة وكل القيادة وقد بنى البيت الحرام فى زمن ولايته له.

بناء قريش للبيت الحرام:

وبعد أن ارتفع شأن قريش فى الجزيرة العربية وقد تصدع البيت وكان فى حاجة إلى بناء قامت قريش ببناء هذا البيت الحرام وذلك بعد أن تطاول رجل على بيت الله الحرام وسرق ما فى بئر الكعبة من النذور والهدايا والهبات وكان هذا الرجل يسمى « دويك » اجتمع بعدها أهل مكة وتولت قريش بناء هذا البيت الحرام وكان الرسول ﷺ شابًا وهو الذى حزم أمر وضع الحجر الأسود مكانه وقد ذكرنا ذلك فى موضعه.

وقد جدد المسجد الحرام فى عهد رسول الله ﷺ كما اهتم به كافة

(١) أخبار مكة ص ٤٥ .

الخلفاء الراشدين وجدده عبد الله بن الزبير عام ٦٦هـ وعبد الملك بن مروان عام ٧٥هـ.

بناء ابن الزبير للكعبة ٦٣هـ :

لم ينشغل عبد الله بن الزبير بأعدائه من بنى أمية مثل يزيد بن معاوية الذين حاصروه عند الكعبة لكنه تغلب عليهم هو ومن معه وبعد أن انتصر عليهم فكر فى إعادة بناء الكعبة [1] بعد ما أصابها من تصدع وشروخ بسبب اندفاع قذائف المنجانيق من يزيد وأعوانه عند محاربته لعبد الله بن الزبير وظل هذا التجديد إلى أكثر من عشر سنوات إلى أن اشتد الصراع بين عبد الله بن الزبير وأبناء بنى أمية بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى .

الحجاج والكعبة ٧٣ هـ :

لما انتصر الحجاج على عبد الله بن الزبير وقتله وصلب جثته . أرسل الحجاج بكتابه إلى عبد الملك بن مروان يخبره أن عبد الله بن الزبير قد زاد فى بنائه للكعبة وأنه جعل لها بابا آخر .

فرد عليه عبد الملك بن مروان أن يهدم ما زاد [2] على بناء الكعبة وأن يجعلها على ما كانت عليه فى عهد قريش ورسول الله ﷺ . وأن يغلق هذا الباب الذى لم يكن موجودًا من قبل بالكعبة المشرفة ونذكر للعلم أن ما زاده الحجاج كان فى الجدار المواجه للحجر الأسود فقام الحجاج بتعديله وبقيت الثلاث جدران كما هى .

ولقد اختلفت الناس فى بناء عبد الله بن الزبير وبناء الحجاج ومنهم

---

(١) أخبار مكة ص ٣٨.

(٢) المحمل والحج ص ١٧٤ .

هارون الرشيد وأبوه المهدى وجده المنصور ولكن الإمام مالك [١] أشار عليهم بأن يبقى بناء الكعبة كما هو حتى لا تكون الكعبة ملعبة لكل من يشاء أن يزيد عليها أو ينقص منها وحتى لا تزول هيبتها .

الوليد بن عبد الملك ٨٦ ـ ٩٦هـ :

كان اهتمام الوليد بن عبد الملك بالكعبة المشرفة مثل غيره لما لها فى نفسه من مكانة غالية مثل كافة المسلمين فى بقاع الأرض فقد زين مدخلها بالرخام الأبيض والأخضر والأحمر وكذلك الأرضيات المحيطة بالكعبة [٢] .

الكعبة فى زمن المتوكل ١٦١هـ :

كان المتوكل على الله أبى جعفر المعتصم قد قام ببعض التجديدات بالكعبة فقد قام بتزيين الحيطان والسقف بالذهب وكسى الأعمدة الداخلية بالحرير .

وقد شهدت الكعبة تعديلات وتجديدات فى كافة العصور والأيام التى مرت عليها فقد أصلح الركن اليمانى عام ٤٠٧هـ كما ذكره ابن الأثير[٣].

ومنها ما قام به الأشرف « برسباى » عام ٨١٤ هـ . كما قام سلطان مصر « الظاهر » بتجديدها عام ٨٤٣هـ وأصلح كل ما هو يحتاج إلى إصلاح بكل ما يحيط بها .

---

(١) المحمل والحج ص ١٧٥.
(٢) المحمل والحج ص ١٧٦ .
(٣) المحمل والحج ص ١٧٦.

الكعبة فى عهد العثمانيين ١٠٣٩هـ :

لم يكن العثمانيون أقل من غيرهم اهتمامًا بالكعبة المشرفة . فقد اهتموا بها جميعًا وقد كان أكثرهم اهتمامًا السلطان مراد [(١)] خصوصًا عندما أصاب الكعبة المشرفة سيل عظيم جعل الماء يدخل بداخلها ويهدم ما يحيط بها من البيوت وقد صعق الناس وزلزلوا من ذلك : فأرسل أمير مكة إلى سلطان مصر يستعين به بعد الله فأرسل السلطان المصرى «محمد الألبانى»[(٢)] كل ما تحتاج إليه الكعبة وأحاطها بسياج من الخشب ليطوف الناس من خارجه لأن ذلك كان قرب مواسم الحج كما فعل عبد الله بن الزبير أثناء إعادته بناء الكعبة المشرفة وبدء العمل ولكن أثناء العمل انهدم الركن الغربى ولم يبق سوى ركن الحجر الأسود فهدموه وأقاموا بناء الكعبة من جديد وقد استمر بناء الكعبة هذه المرة ستة أشهر وقد استخدموا الأحجار التى بنى [(٣)] بها عبد الله بن الزبير من قبل واستبدلوا التالف منها بأحجار غيرها صلبة وقد تصدع الحجر الأسود فأحاطوه بسيور من الفضة وقد أرسلت مصر كافة نفقات البناء وفى نهاية البناء أرسلوا بمحضر إلى مصر أنهم قد أعادوا بناء الكعبة على أكمل وجه وكما يجب أن يكون وظل بناء الكعبة على هذا الوجه وما زالت الكعبة المشرفة محل اهتمام وتجديدات من كافة المسلمين وخصوصا من تولوا ولايتها [(٤)] اليوم من آل سعود بالعربية السعودية من تجديدات وإصلاحات وتوسيع الحرم المحيط بها من عام إلى عام ومن الكسوة وسقاية الحجاج ورفادتهم وغيرها من خدمة بيت الله الحرام وضيوفه الكرام.

---

(١) المحمل والحج ص١٧٩ .

(٢) المحمل والحج ص١٨١ .

(٣) المحل والحج ص ١٨١ .

(٤) المحمل والحج ص ١٨١ .

قصة المحمل والكسوة

١ ـ المحمل:

كان المحمل يخرج من أمام مسجد الحسين بمصر والمحمل يطلق على الجمال والقافلة التى تتشرف بحمل كسوة الكعبة المشرفة كل عام من جمهورية مصر العربية إلى مكة وكان الأمراء والخلفاء والرؤساء قد اعتادوا أن يرسلوا بالعديد من الهدايا إلى أهل مكة وقد ذكر الإمام السيوطى (١) أن أول من أحدث المحامل إلى مكة هو الحجاج بن يوسف الثقفى وكانت المحامل تذهب إلى الكعبة المشرفة من بلاد أخرى مثل العراق واليمن والشام بالإضافة إلى مصر .

وقد بدأ الاحتفال بخروج المحمل مع بداية عصر الدولة الأيوبية وكان لخروج المحمل فى نفوس المسلمين منزلة كبيرة وقداسة عالية وكان المحمل يتكون من أكثر من عشرين من الإبل وكانت هذه الإبل لها «مناخ» بحى «بولاق » (٢) بجمهورية مصر العربية بجوار ضريح سيدى سعيد « ببولاق » وكانت الحكومة المصرية تشترى جملاً يكون على رأس المحمل ويكون فداء عنها كل عام وكان هذا الجمل يلقب بشيخ الجمال أو شيخ الإبل وكانوا يخرجون بهذا الجمل فى موكب كبير يطوفون به بعض شوارع مصر ومعهم المشاعل (٣) التى تضىء لهم ليلاً . ثم يذبح هذا الجمل قبل سفر المحمل وكان قائد المحمل يأخذ ربع لحم هذا الجمل وخادم ضريح الشيخ سعيد الربع ويوزع الربع على الفقراء وكان الربع الأخير من لحم هذا الجمل يباع

---

(١) لبيك ص ٦٩ . (٢) لبيك ص ٦٩ .

(٣) لبيك ص ٧٠ .

على سبيل البركة وكان أهل مصر يعتقدون أن لحم هذا الجمل يشفى من أمراض الصداع وأمراض البواسير وبعض الأمراض الأخرى .

ثم يبدأ السفر عن طريق سيناء بطريق معروف إلى اليوم بطريق المحمل وكان عند وصول المحمل إلى مكة تسلم الكسوة إلى الشيبى سادن [١] الكعبة المشرفة بإشهاد رسمى وكانت تضع على الكعبة صباح يوم النحر بدل من الكسوة القديمة وكان المحمل يرسل معه [صرة] من المال للإنفاق على البيت الحرام وباقى المقدسات الدينية كما سبق أن ذكرنا ذلك .

أول من كسى الكعبة :

قيل: إن بناء الكعبة كان غير مسقوف منذ أن بناها سيدنا إبراهيم عليه السلام حتى مر بها [مالك بن عجلان] [٢] فلما أخبر بفضل مكة وفضل الكعبة فعزم على كسائها فكساها بالخصف [٣] وهو حصير من خوص النخيل ثم رأى فى المنام أنه كسا الكعبة المشرفة أحسن من ذلك فكساها الأنطاع [٤] وهو بسط من الجلد ثم رأى أنه كساها أحسن من ذلك ، فكساها الوصائل وهى ثياب يمانية كانت تنسب إلى قبيلة همدان.

ومن هنا توالت المحافظة على كسوة الكعبة على مر الأزمنة وعبر كل العصور .

وصف الكسوة :

كانت الكسوة عبارة عن ثمانية أستار أو ثمانية أحمال من الحرير

---

(١) لبيك ص ٧٠ .

(٢، ٣، ٤) لبيك ص ٧٠ .

الأسود المطرز بالكتابة وكانت تتكون من ستة [١] أثواب طول كل منها ٢٦ ذراعا وعرضه ٩٠ سم ولكل حمل من هذه الأحمال حزام [رباط] وكان طول الحزام ١٢ ذراعا تقريبًا وكانت بالإضافة إلى :

١ ـ ستار باب الكعبة وكانوا يسمونه البرقع وكان يحلى بالذهب.

٢ ـ كسوة مقام إبراهيم عليه السلام .

٣ ـ ستار باب المقصورة .

٤ ـ ستار باب التوبة .

٥ ـ ستار باب المنبر .

٦ ـ وكيس المفاتيح .

كسوة الكعبة :

قيل : إن أول من كسى الكعبة المشرفة هو [تبرع بن كرب أسعد] [٢] وكان ذلك قبل هجرة رسول الله ﷺ .

١ ـ وكانت الكسوة تصنع من الأوقاف الخيرية وكان أقدم هذه الأوقاف وقفية الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر بن قلاوون وكانت هذه الوقفية عبارة عن ثلاث قرى تابعة لمحافظة القليوبية وهى [بوس ـ أبو الغيط وسندبيس] وكانت الكسوة تصنع كل خمس سنوات حتى عام ٧٥٠هـ .

٢ ـ وقد اشترى السلطان سليمان خان [٩٢٦ ـ ٩٧٤ هـ] سبع قرى بالولاية الشرقية وجعلها وقف خيري لصناعة كسوة الكعبة المشرفة

---

(١) لبيك ص ١٧٣ .	(٢) لبيك ص ١٧٣ .

ومصاريف الحرم والحجرة النبوية بالمدينة وكانت هذه القرى هى [منايل - كوم رحان - بجام - منية النصاري - بطاليا - سلكة - قريش الحجر - بروبجخة] وكانت عوائد هذه القرى تقدر وقتها ١٣٦٥ ألف درهم من الفضة كل عام .

٣ - أما في أوائل القرن الثالث عشر الهجرى أحلت هذه الأوقاف وأصبحت الكسوة تصنع من الميزانية العامة للدولة بجمهورية مصر العربية وتوالت صناعة الكسوة فى مصر وكانت تصنع من جلود القباطى وهو أرقى أنواع القماش المصرى وقد ورد أن رسول الله ﷺ قد كسى الكعبة المشرفة بثمانية أستار وكانت تضع هذه الأستار بعضها فوق بعض وظل الأمر على ذلك وكان سيدنا عمر بن الخطاب فى عهده ينزع الكسوة القديمة ويوزعها على ضيوف بيت الله الحرام من باب التبرك بها وكانت بعض قطع كسوة الكعبة توضع بالحوانيت الموجودة بجوار الكعبة لتباع للناس على سبيل التشرف بشرائها لما لها فى نفوس المسلمين وظل الوضع على ذلك بوضع كسوة فوق كسوة إلى زمن الخليفة العباسى [المهدى] فأمر بالاقتصار على كسوة واحدة من الحرير الأسود خوفًا على الكعبة من التأثر بأثقال الكسوة .

وقيل : إن اللون الأسود التى كانت تصنع منه كسوة الكعبة لأنه كان لون شعار العباسيين وقد اشتهرت مدينة [تنيس] بمحافظة دمياط بصناعة الكسوة وهى ما عرف بعد ذلك بدار [الخرنقش] أو هيئة أو مصلحة الكسوة الشريفة .

الكسوة فى عهد العثمانيين:

كان السلطان العثمانى « سليم العثمانى » [١] قد أرسل الكسوة إلى الكعبة عام ٩٢٣هـ وكان يرسل كسوة لضريح النبى ﷺ وكذلك كان يرسل بالشموع التى تضىء وتسرج داخل الكعبة وخارجها وكذلك البخور والطيب وظل الأمر على ذلك حتى عام ١١١٨هـ كما أن هذا السلطان قد أوقف العديد من القرى المصرية لتصرف عوائدها على الكعبة المشرفة وباقى المقدسات فى مكة والمدينة .

الكسوة في عهد محمد على :

لم يكن محمد على باشا أقل ممن سبقوه فقد اهتم بكسوة الكعبة بل زاد فى رعايته للبيت الحرام وقد حرص أبناؤه من بعده على ذلك وخصوصًا الخدويون كانوا يرسلون بكسوة الكعبة وكان يكتب على حزام الكسوة اسم الخديوى مثل الخديوى عباس حلمى وفؤاد الأول وظل الأمر على ذلك إلى أن حدثت مشدة [٢] بين الملك عبد العزيز آل سعود وبين الحكومة المصرية عام ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م وذلك بشأن سفر المحمل ورد الملك عبد العزيز المحمل ومنع جنود المحمل من دخول مكة ومن هنا انقطعت مصر عن إرسال الكسوة من عام ١٣٤٥هـ وقيل: حتى عام ١٣٥٥هـ وبعد أن زال سوء التفاهم بين البلدين أرسل الملك فاروق الأول الكسوة المصرية عام ١٣٥٥هـ فوضعت على الكعبة المشرفة وتولت[٣] السعودية بعد ذلك صناعة الكسوة عندها .

---

(١) المحمل والحج ص ٢٥٠ . (٢) المحمل والحج ص ٢٦١ .

(٣) المحمل والحج ص ١٧٩ .

بئر زمزم
وغسيل الكعبة وتطييبها

بئـــر زمـزم

« اللهم ما كتب لنا الشراب والروى من هذا الماء التى وهبته سرًا من أسرار ذاتك وجعلته شفاء لما شربه له » [١] .

بعد أن ترك سيدنا إبراهيم عليه السلام زوجته وابنه إسماعيل بهذا الوادى وبعد أن نفد ما كان معها من طعام وشراب أخذت أم سيدنا إسماعيل عليه السلام تهرول بين جبل الصفا وجبل المروة تبحث عن قطرة ماء تروى عطشها وسط هذه الجبال التى تشتعل حـرارة لكن الله سبحانه وتعالى جعل لهذه الأم وابنها معجزة [٢] باقية إلى يومنا هذا وهى أن فجر الله من تحت قدم سيدنا إسماعيل عين زمزم وكانت هذه العين سبب فى أن جاءت قبائل العرب وسكنت بجوار هذا البئر وحول هذه الأعشاب وأشهر هذه القبائل جرهم والعماليق .

عبد المطلب وبئر زمزم :

وكان عبد المطلب قد حفر بئر زمزم وقد أصاب من هذا الحفر غزالين من الذهب قد دفنتهم قبائل جرهم فأخرجها وزين بهما باب الكعبة المشرفة. كما أنه قد أصاب من هذا الحفر سبعة أسياف قلعية وسبعة أدرع سوابغ فضرب بهما باب الكعبة وكان كل ما أصابه من هذا الحفر هو من الذهب الخالص .

---

(١) منبر الإسلام ص ٥٩ .
(٢) المحمل والحج ص ٥٥ ، ٥٦ .

وكان عبد المطلب يوصى أولاده وأحفاده بعدم الظلم وكان يحثهم على مكارم الأخلاق وكان يحذرهم من دنيات الأمور وكان دائما يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وكان يتصف بالوفاء بالعهد وكان يطوف بالبيت الحرام غير عريان [١] كما كانت تفعل العرب فى الجاهلية وكان يقطع يد السارق ويحرم شرب الخمر والزنا .

وقد قال رسول الله ﷺ فى ماء زمزم إنه مبارك وإنه طعام طعم وشفاء سقم » وقد أكدت العديد من البحوث فى العصر الحديث أن ماء زمزم يحتوى على نسبة كبيرة من أملاح الكالسيوم والماغنسيوم وأنه يمنع التسمم ويعمل على الوقاية من ارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب وسبحان الله الذى وهب هذا الماء كل ما فيه من هذه الأسرار الربانية .

(١) الفقه الواضح ص٤١٧ .

غسيل الكعبة

روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة يوم الفتح الأعظم أنه أمر سيدنا بلال رضى الله عنه فرقى الكعبة وأذن للصلاة واجتمع المسلمون وغسلوا الكعبة الشريفة بماء زمزم [١] ومن هنا جرت العادة بغسيل الكعبة المشرفة من حين إلى آخر ويقام لهذا الغسل حفل كبير خصوصًا قبل مواسم الحج ويحضر هذا الغسل كبار ولاة الأمور ثم تلبس الكعبة الكسوة الجديدة يوم عيد الأضحى .

وكان ماء الغسل يوضع فى قوارير ويهدى به على سبيل التبرك به .

تطيب الكعبة :

ورد أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : « طيبوا البيت فإن ذلك من التطهير » وقالت : « إن تطييب الكعبة أحب إلى ممن أهدى لها ذهبًا وفضة ».

وقد ورد أن ابن الزبير رضى الله عنه لما فرغ من إعادة بنائها أنه طيب الكعبة بالعنبر [٢] والمسك من أعلاها إلى أسفلها وقيل: إنه كان يضع عليها كل يوم رطل من الطيب ويوم الجمعة رطلين [٣] وقد فعل ذلك معاوية والخليفة العباسى المهدى عام ١٦٠هـ .

وهكذا تطيب الكعبة لم يغفل فى أيامنا هذه فما زال الطيب يضع عليها من حين إلى آخر .

---

(١) المحمل والحج ص ٢٠٣ .

(٢) المحمل والحج ص ٢١٢ .

(٣) المحمل والحج ص ٢١٢ .

مفاتيح الكعبة

« السدانة »

مفاتيح الكعبة « السدانة »

عندما فرغ سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل من بناء الكعبة رجع سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى قومه وبقى سيدنا إسماعيل عليه السلام لخدمة الكعبة . ومرت سنوات على ذلك وتولى أبناء سيدنا إسماعيل خدمة الكعبة من بعده . وسبحان الذى لا يدوم لغيره حال فبمرور السنوات ضعف شأنهم وتغلبت عليهم العماليق [١] حتى نالوا أمر خدمة بيت الله الحرام وظلوا على ذلك إلى أن جاءت بنو « جرهم» إلى مكة عن طريق اليمن وكان ذلك فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد تقريبًا وكان سيد «جرهم » هو مضاض بن الحارث الذى استطاع أن يتغلب على العماليق واستطاع السيطرة على الأمور إلى أن نال منهم خدمة البيت الحرام ولكن الله أنزل ببنى جرهم [٢] وباءً شديدًا حتى قضى على الكثيرين من رجالهم فكان ذلك سببا فى عودة مفاتيح الكعبة وخدمة بيت الله الحرام إلى أحفاد سيدنا إسماعيل عليه السلام حتى أن أحفاد سيدنا إسماعيل عليه السلام طردوا بنى « جرهم » من مكة وظلت مفاتيح الكعبة وشرف خدمة بيت الله الحرام فى يد أحفاد سيدنا إسماعيل إلى أن جاءت بنو «خزاعة»[٣] ونالت شرف خدمة بيت الله الحرام وسقاية الحجاج ولكن أحفاد سيدنا إسماعيل عليه السلام

---

(١) المحمل والحج ص ١٩٨.
(٢) المحمل والحج ص ١٩٨.
(٣) المحمل والحج ص١٩٩.

ظلوا يترقبون الأمر زمنًا طويلاً إلى أن جاء «قصى بن كلاب»[١] من الشام وهو من البطن الرابعة والعشرين من بطون إسماعيل عليه السلام فجمع قصى قبائل قريش ونشر الحب والود بينهم بعد العداوة والجفاء وبعد ذلك استطاع «قصى بن كلاب » أن يشترى حجابة البيت الحرام من قبائل خزاعة[٢] لينال هو ومن معه هذا الشرف العظيم وقد وصل به الأمر إلى أنه طردهم بعد ذلك من مكة .

وسيطر بعد ذلك على خدمة بيت الله الحرام والسقاية والرفادة (طعام ضيوف بيت الله الحرام) وكذلك لواء الحرب وبذلك ازداد شأنه وعظم سلطانه بين أهله وأهل مكة كلها .

وتذكر كتب التاريخ الإسلامى أن قصى بن كلاب هو الذى بنى دار الندوة قرب بيت الله الحرام وكان ذلك سببًا فى أنه رفع من شأن قريش فى الجزيرة العربية حتى قيل : إن سائر القبائل كانت تدفع له « الإتاوة» وقد أوصى قصى بن كلاب بخدمة بيت الله الحرام وسقاية حجاج بيت الله والرفادة والسقاية إلى ابنه «عبد الدار» من بعده وظل الأمر فى يد عبد الدار من بعد أبيه قصى بن كلاب إلى أن ظهرت عليه عبد مناف حتى كادت الخلافات بينهم أن توقع بهم فى الحرب ولكن بعض القبائل كان لها دور كبير بتدخلهم وقد حكمت هذه القبائل بتقسيم خدمة بيت الله الحرام عليهم فكان من نصيب عبد الدار حجابة بيت الله الحرام وكذلك لواء الحرب .

---

(١) المحمل والحج ص ١٩٩.

(٢) الكعبة على مر العصور ص ٩٣.

وكان من نصيب بنى عبد مناف السقاية (١) والرفادة ومع مرور الزمن ازدادت قريش وتقسمت إلى قبائل وقبائل وبطون وبطون وقد انقسمت هذه الامتيازات معهم لازدياد عددهم .

فكانت الريادة من نصيب بنى نوفل وبنى عبد المطلب السقاية وبنى عبد الدار سدانة الكعبة والحجابة ولواء الحرب وكان سيد عبد الدار فى هذا الوقت هو «عثمان بن طلحة » وقد فتح رسول الله ﷺ مكة ومفاتيح الكعبة مع عثمان بن طلحة (٢) فأرسل رسول الله ﷺ فطلب المفاتيح وأخذها رسول الله ﷺ وأخذها من عثمان بن طلحة فأنزل الله تعالى فى ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾ الآية [النساء : ٥٨] .

فرد (٣) رسول الله ﷺ المفاتيح إلى عثمان بن طلحة وقال رسول الله ﷺ « لا ينزعها عنكم إلا ظالم » وظلت مفاتيح الكعبة فى يد عثمان ابن طلحة وحتى تولها من بعده شيبة . ومفاتيح الكعبة اليوم مع آل الشيبى(٤) وهم بطن من بطون قريش قد توارثوها عن آبائهم وأجدادهم .

---

(١) المحمل والحج ص١٩٩ .

(٢) لبيك ص٧٦ .

(٣) المحمل والحج ص ٢٠٠ .

(٤) فى ظلال الحرمين ص١٢١ .

الصحائف والمعلقات

الصحائف والمعلقات

١ ـ صحيفة المقاطعة :

كانت صحيفة مقاطعة قريش هى أشهر الصحائف التى تم تعليقها بالكعبة ، وسبب تعليق هذه الصحيفة أن قريش وجدت أن دعوة الرسول ﷺ تزداد يومًا بعد يوم ، خصوصًا أن الله فتح قلوب وعقول بعض كبار وعظماء قريش للإسلام خصوصًا محاولة الكفار قتل رسول الله ؟ ﷺ ، فلم يكن أمامهم إلا أن يكتبوا صحيفة ويعلقوها داخل جوف الكعبة خصوصًا بعد دخول بنى هاشم وعبد المطلب فى شعب رسول الله ﷺ ، خصوصا أن هذا الحلف كان معروفًا أنه من صفات وحمية العرب فى الجاهلية .

فلم يكن أمام قريش إلا أنهم اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون[١] فيه فيما بينهم على بنى هاشم وبنى عبد المطلب أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعون منهم شيئًا ولا يبتاعون منهم ولا يقبلوا منهم صلحًا أبدًا ، حتى يسلموا رسول الله ﷺ ليقتلوه .

لكن من أنعم الله عليهم بالإسلام يفعل ذلك فالكل يتسابق فى أن يفدى رسول الله ﷺ بنفسه وكل ما يملك وكتب كل ذلك بصحيفة بخط منصور بن عكرمة [٢] وقيل بخط « بغيض بن عامر» .

وقيل : إن الذى كتب هذه الصحيفة قد شلت يده . وعلقوا هذه

---

(١) المحمل والحج ص ١٨٤ .   (٢) المحمل والحج ص ١٨٥ .

الصحيفة داخل جوف الكعبة فى هلال محرم من العام السابع من بعثة الرسول ﷺ .

وما كان بعد ذلك إلا أن أبا طالب دخل في شعب بنى عبد المطلب وبنى هاشم ولكن أبا لهب ظل مع قريش وقد ظل الأمر على هذا عامين أو أكثر حتى أن أبا لهب كان يصل إلى أقاربه من بنى هاشم وبنى عبد المطلب سراً .

وظل ما فى هذه الصحيفة يلتزم به الجميع إلى أن رجل قام بنقض ما فى هذه الصحيفة .

وقد أطلع الله نبيه ﷺ أن حشرة « القرضة » [(١)] أكلت كل ما كتبته قريش من عهود لمقاطعة رسول الله ﷺ ومن معه لأنه لم يكن فيها إلا ظلم ولكن القرضة أكلت كل ما كتب فى هذه الصحيفة إلا اسم الله سبحانه وتعالى . فأخبرهم رسول الله بذلك ففتحوا الكعبة الشريفة وجاءوا بالوثيقة فوجدوها [(٢)] كما قال رسول الله ﷺ وكان ذلك فى العام العاشر من هجرة رسول الله ﷺ .

معلقات الشعراء [(٣)] :

كان مجمل أعمال وصحائف التاريخ للعرب هى ما يكتبه شعرائهم من أحداث وأيام خالدة سجلوها بأشعارهم ، وكانوا يعلقونها بالكعبة المشرفة وكانت هذه الأشعار التى يكتبها فحول شعرائهم كانت تعلق على

(١) المحمل والحج ص ١٨٥ .
(٢) المحمل والحج ص ١٨٦ .
(١) المحمل والحج ص ١٨٤ .

أستار الكعبة وذلك سميت بالمعلقات وكان من أشهر شعراء هذه المعلقات.

١ ـ امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر وقد مات عام ٨٠ قبل هجرة رسول الله ﷺ عام ٥٦٥ ميلادية .

٢ ـ طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك وقد مات عام ٧٠ قبل هجرة الرسول ﷺ عام ٥٥٢ ميلادية .

٣ ـ زهير بن أبى سلمى بن رباح المزنى مات عام ١٤ قبل هجرة رسول الله ﷺ أى عام ٦٠٨ ميلادية .

٤ ـ عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب مات عام ٥٢ قبل الهجرة أى عام ٥٧٠ ميلادية .

٥ ـ لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك مات عام ٤٠ من هجرة رسول الله ﷺ أى عام ٦٦٠ ميلادية .

٦ ـ عنترة بن شداد وقيل: عمرو بن شداد مات قبل عام ٢٢ من هجرة رسول الله ﷺ أى عام ٦٠٠ ميلادية .

٧ ـ الأعشى الميمون بن قيس بن جندل مات فى العام السابع الهجرى أى عام ٦٢٩ ميلادية .

٨ ـ الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله مات عام ٥٢ من الهجرة أى عام ٥٧٠ ميلادية .

٩ ـ النابغة الذبيانى زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع مات عام ١٨ للهجرة أى عام ٦٠٤ ميلادية .

١٠ ـ عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشن مات عام ٥٥٤ ميلادية وقيل عام ٦٠٥ ميلادية.

معلقات هارون الرشيد :

ذكرت كتب التاريخ الإسلامى أن هارون الرشيد قد حج البيت الحرام عام ١٨٦هجرية وكان معه أبنائه [محمد ـ وعبد الله] وقيل : إنه كتب وصايته بعد أن قضى مناسك الحج وخصوصًا البيعة [١] من بعده لابنه الأكبر ومن يأتى من بعده وقد أوصى بالولاة والحكام والغلات والجواهر والأموال وكل ما يخص شئون الخلافة من بعده . كما جرت العادة على أن يعلق العديد من الخلفاء والأمراء والرؤساء بوصايهم داخل الكعبة الشريفة .

(١) المحمل والحج ص ١٩١ .

دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام

دعـــاء سيدنا إبراهيم عليه السلام

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

وقال تعالى : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام بهذا الدعاء لأهل مكة لما وجد [١] فيها من جدب وقلة الماء والزرع وصعوبة الحياة فيها .

كما دعا لها أن يحفظها الله من السوء فما وصل إليها جبار يقصدها بسوء إلا قسمه الله مثلما فعل بأصحاب الفيل وقد دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام بأن جعل لأهلها رسولاً منهم كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٩] ليكون هذا الرسول من ذريته وليعلم أهلها الشرائع ليكون حريصا عليهم ويعرفون أصله ومنشأه وصدقه وأمانته .

وقد قال رسول الله ﷺ : « أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى » لقوله تعالى : ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَد ﴾ [الصف : ٦] .

ولذلك شرف وتقدير بما تدعو به المسلمون جميعًا فى صلاتهم «اللهم

---

(١) تفسير الرازى ص ٢٠٩ م٢.

صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم» ، وقيل : إن سبب هذا الدعاء أن سيدنا إبراهيم عليه السلام دعا قائلاً: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِين ﴾ [الشعراء : ٨٤] .

ليكون لسيدنا إبراهيم عليه السلام الثناء الحسن فى أمة سيدنا محمد ﷺ وليكون لهذا النبى الفضل فى اتباع الناس له وهى قوله تعالى : ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ [1] وليتعلموا منه منابع الخير ومكارم الأخلاق والفضل والكمال والإخلاص فى العبادة ومن دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

وكل هذه الأدعية الذى دعا بها سيدنا إبراهيم عليه السلام هى للدين والدنيا فللدين العبادات والطاعات والصلوات والخيرات والبعد عن الشر ، أما الدنيا الثمرات والأرض والمنافع الأخرى فى الدنيا والآخرة.

---

(١) فخر الدين الرازى ص٤٢٧ م٢.

الكعبة
في زمن الطوفان

الكعبة فى زمن الطوفان

يذكر الإمام فخر الدين الرازى فى كتابه [مفاتيح الغيب] أن الله تبارك وتعالى لما أمر السماء أن تمطر وأن تتفجر العيون من الأرض ليخرج منها الماء فى زمن سيدنا نوح عليه السلام . فقد أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة أن ترفع (١) البيت الحرام من الأرض .

وقد بقيت قواعده فى الأرض كما هى ، ورفع البيت حيال السماء السابعة ، وبعد أن انقضى الطوفان اندرس موضع الكعبة وبقى مختفيًا إلى أن أرسل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام وأمره بأن يرفع قواعد البيت من جديد وأرسل له سيدنا جبريل عليه السلام فكان جبريل عليه السلام المهندس وسيدنا إبراهيم عليه السلام البناء وكان سيدنا إسماعيل المعين.

وقد ذكر بعض المفسرين أن البيت الحرام سمى بالبيت العتيق لأن الله أعتقه من الغرق وحفظه (٢) من الطوفان في زمن سيدنا نوح عليه السلام، وقد ذكر بعضهم أن الكعبة قبل الطوفان كانت من ياقوتة حمراء (٣) وقيل: بيضاء وقيل : إنه سمى بالبيت الحرام لأن الله حرم فيه أشياء وقيل: لأن الله تبارك وتعالى حرم الطوفان عليه وحفظه .

سفينة نوح تطوف بالكعبة :

روى ابن عباس قال : كان مع سيدنا نوح عليه السلام ثلاثون رجل

(١) تفسير الرازى ص ٤٠٦ م٢.
(٢) تفسير الرازى ص ٣٤٥ م٤ .
(٣) تفسير الرازى ص٢٦٣ م١١.

معهم أهلوهم وقد أقاموا فى السفينة مائة وخمسين يوما وقد وجه الله السفينة بأمره إلى البيت الحرام فطافت به أربعين يومًا ، ثم أمرها الله سبحانه وتعالى أن تتوجه إلى جبل الجودى فاستوت عليه واستقرت عليه فأرسل سيدنا نوح عليه السلام الغراب [١] ليأتيه بخبر الأرض فوقع على جيفة وأبطأ العودة فأرسل سيدنا نوح عليه السلام الحمامة بدلاً من الغراب فجاءته بغصن الزيتون وقدمها ملطخة بالطين فعرف سيدنا نوح عليه السلام أن الطوفان قد رفعه الله .

(١) تفسير الرازى ص ٢٦٤ م١١.

الكعبة
فى الجاهلية

الكعبة فى الجاهلية

كان العرب فى الجاهلية يعظمون الكعبة ويطوفون حولها ويذبحون لها وكانوا يقدمون لها القرابين وكانوا يلوثون [١] بدمائها ولحومها حيطان الكعبة المشرفة لأنهم لم يتفهموا الهدف من النحر وهو التقوى والطاعة والانقياد لله سبحانه وتعالى لقول الله تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ الآية [الحج: ٣٧] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحج: ٢٥] .

وقال ابن عباس رضى الله عنه نزلت هذه الآية فى سفيان بن حرب[٢] وأصحابه حين صدوا رسول الله ﷺ عام الحديبية عن المسجد الحرام من أن يحج هو وأصحابه أو يعتمروا أو ينحروا الهدى . فكره رسول الله ﷺ قتالهم لأن رسول الله ﷺ كان محرمًا للعمرة ثم صالحوه على أن يعود فى العام القادم .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ قيل أن معنى هذا أن من لجأ بالحرم ليشرك بالله عذبه الله سبحانه وتعالى وقد روى ابن عباس رضى الله عنه أن هذه الآية الكريمة قد نزلت فى عبد

---

(١) تفسير الرازى ص ٢٧٩ م ١١ .
(٢) تفسير الرازى ص ٢٥٩ م١١ .

الله بن سعد وقيل : ابن الأخطل [١] حين قتل أنصارى وهرب إلى مكة كافرًا فأمر رسول الله ﷺ بقتله يوم فتح مكة .

وكانت للعرب فى الجاهلية صلوات ومناسك يؤدونها حول الكعبة وكانت هذه الصلوات وهذه المناسك ما أنزل الله بها ما يجعلهم يفعلون ذلك لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٥] .

أولياء الله سبحانه وتعالى لأن أولياء الله يخشونه ويعظمونه ويتبعون ما يأمرهم به لأن المكاء [٢] قيل : إنه هو الصفير والتصدية هي التصفيق فكانت العرب فى الجاهلية يطوفون بالبيت الحرام وهم ويصفرون ويعتقدون أن صلاتهم لا تتم إلا بهذا كما كانوا يطوفون بالبيت الحرام عراة كما أنهم كانوا كلما رأو رسول الله ﷺ كانوا يقومون على جانب يصفقون ويصفرون ليفسدوا عليه صلاته ورغم تعدد بيوت العرب مثل بيت نجران وبيت غطفان وبيت شداد وبيت الرئا [٣] وبيت اللاتى وبيت العزى وبيت ذى الخلصة وهو البيت الذى بناه أبرهة باليمن منذ ذهب إلا أن بيت الله الحرام كانت له فى نفوسهم مكانه كبيرة وكانت هذه المناسك التى ابتدعوها من هوى أنفسهم لأن مكة كانت ملتقى أهم الطرق التجارية من الشمال إلى الجنوب وغيرها .

وخصوصًا القوافل الذاهبة والآيبة من وإلى الروم والفرس والغساسنة

---

(١) تفسير الرازى ص ٢٦١ م١١.

(٢) تفسير الرازى ص٤١٩ م٧.

(٣) أخبار مكة ص ٢٥٩.

والحبشة وغيرها من البلاد المجاورة للعرب ، وكان لا يدخل مكة زائر من قريب أو من بعيد إلا ويزور البيت الحرام ويطوف به ويأخذ معه بعض الأحجار تعظيمًا وتشريفا وحبًا وكانت تؤدى المناسك على شريعة سيدنا إبراهيم عليه السلام وإسماعيل ونوح عليهما السلام إلا أن بعض العرب فى الجاهلية قد بدلوا هذه المناسك وسن لنفسه مناسك من هوى نفسه .

فكانت قبيلة [نزار] [١] تطوف بالبيت وتقول: [لبيك إذا ما أهلت. لبيك اللهم لبيك لا شريك لك. إلا شريك هو لك تملكه وما ملك].

وكانت قبيلة [عك] [٢] عندما يفرغون من قضاء مناسكهم فى الحج كانوا يقدمون غلامين أسودين من غلمانهما فيقولان ، [نحن غرابك عك] فترد باقى القبيلة وتقول بعدهما [عك إليك عانية عبادك اليمانية] وكان أبو خزاعة عمرو بن لحى يذبح الذبائح ويطعم الناس ويكسوهم كل عام فى مواسم الحج وقيل : إنه كان يذبح عشرة آلاف من الإبل ويكسو عشرة آلاف نفس [٣] وقيل : إنه أول من سيب السائبة وبحر البحيرة وحمى الحامية .

كما أنه كان يطوف بالبيت هو ومن معه بالأصنام ويعبدونها ويذبحون لها يقدمون لها كل القرابين والهدايا وظل أهل مكة على هذا حتى فتح رسول الله ﷺ مكة وأرسل من يهدم هذه الأصنام أينما وجدت وأينما كانت .

(١) المحمل والحج ص ٥٧ .
(٢) المحمل والحج ص ٥٨.
(٣) المحمل والحج ص ٥٨ .

وكانت العرب فى الجاهلية يضعون العديد من الأصنام يقولون : إنها بناية الله [١] وكانت بعض الأصنام توضع بوادى بالقرب من الكعبة يقال له وادى [الغبغب] [٢] كما كانت لهم أصنام داخل جوف الكعبة أشهرها [هبل] وقد كسر يده يوما فجعلوا له يدًا من ذهب وكانوا يسمونه هبل خزاعة .

كما أنهم كانوا يضعون داخل جوف الكعبة سبعة أقداح [٣] مكتوب على كل واحد منها الأول [نعم] والثانى [لا] والثالث مكتوب عليه [منكم] والرابع مكتوب عليه [غيركم] والخامس [بها] والسادس [ما بها] وكذلك السابع مثل ذلك وكانوا إذا اختلط عليهم الأمور يضربون الأقداح وعلى أيها يقع يكون الأمر نافذًا حسب ما كتب على هذه الأقداح وهى ما نسميه بنظام [القرعة] وقد ضربت هذه الأقداح عندما نذر عبد المطلب ذبح أحد أولاده إذ رزقه الله بعشرة من الأولاد رجالا فكانت الأقداح تقع على عبد الله [٤] أبو الرسول ﷺ لكنه فداه بمائة من الإبل كما كانت العرب فى الجاهلية يمنعون نسائهم الحوائض من الطواف بالكعبة المشرفة وكان الرجال يطوفون بالبيت عراة نهارًا وكانت النساء تطفن بالبيت عاريات ليلاً [٥] كما كانت العرب فى الجاهلية يهبون أبناءهم منذ طفولتهم لخدمة الكعبة وقد فعلت ذلك أم عبد مناف ووهبته منذ صغره لخدمة

(١) المحمل والحج ص ٦٥ .
(٢) المحمل والحاج ص ٦٥ .
(٣) المحمل والحج ص ٦٥ .
(٤) المحمل والحج ص ٦٥ .
(٥) المحمل والحج ص ٦٥.

الكعبة .

وكانوا يفتحون الكعبة :

وكانوا يفتحون [١] الكعبة يوم الاثنين ويوم الجمعة وقيل: الخميس بدل من الجمعة وكانت تفتح فى شهر رجب كل يوم ، وكانت فى هذه الأيام مواعيد يدخل فيها الرجال ومواعيد تدخل فيها النساء وكانت تفتح لسادة القبائل فى أى وقت وللأشخاص الآخرين أيضًا ولكن مقابـل مبلغ من المال .

وأول من خلع النعال وهو داخل الكعبة هو الوليد بن المغيرة تعظيمًا وتشريفًا للكعبة المشرفة .

أديان العرب :

كانت للعرب أديان عديدة نذكر أهمها دين الأحماس ودين حلة ونذكر عن دين الأحماس أنهم كانوا يشترطون على من يتزوج من بناتهم أنها إذا ولدت ولدًا أن يكون من الأحماس [٢] ليكون على دينهم وكان إذا أحرم أحدهم الطواف بالبيت لا يدخل من باب البيت ولكنه كان ينقب ظهر البيت ويدخل منه. ونذكر ما فعله أحد الأنصار مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية عندما وقف أمام البيت ولم يدخل فقال له رسول الله: « لِمَ لا تدخل؟ » قال: يا رسول الله إنى أحمسى [٣] فقال له رسول الله : « دينى ودينك سواء » فدخل الرجل وهنا نزل قول الله تعالى : ﴿ **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن**

---

(١) المحمل والحج ص ٢٠١.
(٢) أخبار مكة ص ١١٥.
(٣) أخبار مكة ص١١٧.

تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ [البقرة: ١٨٩] .

وكان الأحماس عند طوافهم بالبيت يلقون ثيابهم عند باب البيت الحرام ولا يطوفون بها لأنهم فعلوا فيها بعض الذنوب وكانوا يتركون هذه الثياب حتى تبليها [١] الشمس والأمطار والرياح والأقدام وكانت العرب فى الجاهلية حريصين على إكرام الضيف وخصوصا حجاج البيت الحرام فكانوا يوفرون لهم الطعام والشراب وهو ما يسمى برفادة البيت الحرام[٢].

(١) أخبار مكة ص ١١٨.
(٢) أخبار مكة ص ١٢٨.

عبادة الأصنام

عبادة الأصنام

تذكر كتب التاريخ الإسلامى أن الجزيرة العربية لم تعرف عبادة الأصنام قبل دين سيدنا إبراهيم بل ظلت بعده على هذا الدين. أما سبب عبادة الأصنام هو ما جاء فى الحديث الذى رواه سعيد بن سالم بن عثمان ابن ساج (١) أنه لما ضاقت مكة ببنى إسماعيل أنهم كانوا يخرجون يلتمسون العيش (٢) خارجها وأنهم كانوا عند خروجهم يحملون معهم بعض أحجار البيت الحرام تعظيمًا وتشريفا له وصبابة بمكة وبالكعبة لما لهما فى نفوس هؤلاء العرب من مكانة كبيرة حتى أنهم كانوا يعظمون هذه الحجارة نفس تعظيم (٣) الكعبة وكانوا أينما حلوا ونزلوا يضعونها ويطوفون بهذه الحجارة كما يطوفون بالكعبة وظلوا على هذا الحال ومع مرور الأيام أخذ الأمر يتغير ويتبدل شيئًا فشيئًا حتى انتقلت تقديس هذه الحجارة وتعظيمها من باب أنها من الكعبة إلى تقديسها لذاتها ونفسها حتى أنهم بلغ بهم الأمر أنهم نسوا ما كانوا عليه من دين سيدنا إبراهيم عليه السلام وأخذوا يجعلون لها مناسك وطقوس دينية من عند أنفسهم وهى ما نسميه بعبادة الأوثان وأخذوا بعد ذلك يسيبون السائبة ويبحرون البحيرة ويوصلون الواصلة (٤) ويذكر أن أول من فعل ذلك هو «عمرو بن لحى» وقد روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ : رأيت عمرو بن لحى يجر أمعاءه فى النار لأنه أول من عبد الأوثان وفعل ما فعله وغير دين الحنفية دين سيدنا إبراهيم عليه السلام

(١، ٢، ٣) أخبار مكة ص٦٩ .

(٤) أخبار مكة ص٧٣ .

بعبادة الأصنام ونصبها حول الكعبة وجعل لها مناسك من تقديس حتى تغير الأمر وتبدل إلى تقديس الأصنام . وقد ذكرت كتب التاريخ أن جرهم [١] لما بغت وطغت فى الحرم حتى وصل الأمر أن رجلاً وامرأة منهم دخلا الكعبة وفجرا بها أو قبالها داخل الكعبة فقيل : إن الله سبحانه وتعالى قد مسخهما حجرين وقيل: إن اسم الرجل « أساف بن بغاء» وكانت المرأة «نائلة بنت ذئب» وبعد أن مسخا أخرجا فوضع أحدهما على جبل الصفا والثانى على جبل المروة لكى تعتبر بهما الناس حتى أن الناس كانوا يطوفون بهما ووصل الأمر إلى التمسح بهما وكان عمرو بن لحى كان يحضهم على عبادة الأصنام بقوله : إن من كان قبلكم كانوا يعبدون هذه الأصنام ثم تدرج الأمر إلى أن نقل أحد هذه الأصنام إلى جوار الكعبة .

وبلغ بهم الأمر إلى أن هذا الصنم كان يلاصق الكعبة وكان الثانى موضوع عند زمزم وكانوا يطوفون بهما يبدؤون بأساف وينتهون بنائلة وقيل: إن الذى نقل هذه الأصنام حول الكعبة هو قصى بن كلاب وبدأت بعد ذلك تتزايد الأصنام حول الكعبة صنم بعد صنم إلى أن وصل عددها حول الكعبة إلى ثلاثمائة وستون صنما حول الكعبة ولما فتح رسول الله ﷺ مكة ودخل البيت الحرام أمر بتحطيم كل هذه الأصنام وكان يرسل إلى كل صنم من يحطمه لأن أطراف مكة كانت بها أصنام عديدة وكان رسول الله ﷺ يقول عند تحطيم الأصنام «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » وقال رسول الله ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم

(١) أخبار مكة ص ٧٣ .

الآخر فلا يترك صنما فى بيته إلا كسره أو حرقه » [١] ولم تكن العرب فى الجاهلية يعبدون الأصنام فقط بل كان منهم من يعبد الأشجار مثل شجرة «ذات النواط » [٢] وكانت هذه الشجرة لها مكانة كبيرة فى نفوس العرب فى زمن الجاهلية فكانوا يذهبون إليها كل عام ويضعون عليها أسلحتهم ويذبحون لها وكان يعكفون عندها يومًا أو يومين.

---

(١) أخبار مكة ص٧٣ .

(٢) أخبار مكة ص ٧٧ .

تخريب الكعبة

تخريب الكعبة

حادثة الفيل :

تعد حادثة الفيل هي أكبر محاولة لتخريب الكعبة على مر التاريخ ولذلك ذكرها الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم وكما ذكر عاقبة هؤلاء المتجرئين على الله وعلى بيته الحرام وهى ما جاء فى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥) ﴾ [سورة الفيل] .

وسبب هذه الحادثة أن أبرهة قد بنى بيتًا يقال له: ذو الخلصة باليمن ليحول الناس عن بيت الله الحرام ولينتقل الحج إلى هذا البيت الذى بناه لينتفع بمكاسب التجارة وليكون له الشرف الذى تناله العرب القريشيون حول البيت الحرام ولما عزم على ذلك فلم يكن أمامه إلا هدم الكعبة المشرفة فأعد جيوشه وكان أبرهة [١] هذا هو ملك لبلاد اليمن وهو أبرهة ابن الصباح الأشرم وقد أقام بنائه هذا من الذهب الخالص وقيل: إن اسمه كان ذو الخلصة [٢] وقيل القليس وخرج أبرهة على رأس جيشه ومعه الأفيال وكان أشهر وأكبر هذه الأفيال هو الفيل الذى يقال له: «محمود» [٣] وقيل: إن هذه الأفيال بلغ عددها اثنى عشر فيلا من الأفيال الجسيمة الكبيرة ولما

---

(١) تفسير الرازى ص٤١٠ م٢.
(٢) تفسير الرازى ص ٦٣٨ م١٦.
(٣) تفسير الرازى ص ٦٣٩ ص١٦.

وصل أبرهة قرب مكة خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث الأموال التى تملكها تهامة (١) ليرجع عن هدم الكعبة المشرفة فأبى وعبأ جيشه واتجه إلى الكعبة ليهدم الكعبة ولكن الله خير حافظا فكانوا كلما وجهوا الفيل إلى الكعبة كان يبرك ولا يبرح مكانه وكان كلما وجهوه إلى أى جهة أخرى أسرع فى السير وهرول إلى خارج الكعبة ولم يكن لعبد المطلب بعد أن عرض عليه العديد من العروض التى رفضها أبرهة لم يكن له إلا أن قال: [الإبل إبلى وللبيت رب يحميه] (٢) وصار إلى بيته فإذا بطير من نحو اليمن فكان كل من رآها قال: والله إنها لطير غريبة ما هى بطير نجدية ولا تهامية وكان كل طائر من هذه الطيور يحمل حجرًا فى منقاره (٣) وحجرين فى رجليه وقيل : إن كل حجر من هذه الحجارة كان أكبر من حبة العدس وأصغر من حبة الحمص.

وقال ابن عباس كان الحجر يقع على رأس الرجل من جيش أبرهة فيخرج من دبره وأن كل حجر كان مكتوب عليه اسم صاحبه الذى يقع عليه وماتوا جميعًا حتى إن أبرهة ما مات إلا بعدما انصدع قلبه عن صدره ولم يذكر أن واحدًا من جيش أبرهة قد نجا إلا رجل يقال له: «أبو يكسوم» (٤) أحد وزراء أبرهة وكان لهذا طيرًا يحلق فوق رأسه حتى خرج من مكة ووصل إلى النجاشى فقص عليه ما حدث لأبرهة ومن معه وقيل: إن هذا الرجل لما أكمل القصة للنجاشى وقع عليه الحجر من الطير الذى كان يطارده فمات فى وقتها (٥) .

(١) تفسير الرازى ص٦٣٩ ص١٦.
(٢، ٣) تفسير الرازى ص ٦٣٩ م١٦.
(٤) تفسير الرازى ص ٦٣٩ م١٦.
(٥) تفسير الرازى ص ٦٣٩ م ١٦.

وقد قالت السيدة عائشة [١] رضى الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يُستطعمان . وكانت هذه الحادثة أكبر دليل على وجود الله وأن كل من يحاول أن يتعدى على حرمات الله يهلكه الله سبحانه وتعالى ويرد عليه كيده ولكن البيت الذى بناه أبرهة قد نقلت الرياح إليه النار فحرقته فهدم بيت أبرهة وهلك هو وجيشه. وقيل: إن الحجارة كانت كلما وقعت على واحد منهم نفط جلده وأصيب بالجدرى[٢] لأن هذه الحجارة قيل : إنها من جهنم وأنها جعلتهم مثل العصف المأكول تعصف به الرياح أينما تشاء فسبحان مبدل الأحوال الذى لا يدوم لغيره شأن ولا حال .

حريق الكعبة :

لقد ذكر الكندى عن سليمان الفارسى قال: لتحرقن الكعبة على يد رجل من أهل الزبير . وقيل: إن هذا الحريق كان يوم السبت من أول شهر ربيع الأول من العام الرابع والستين للهجرة [٣] النبوية الشريفة ويذكر الكندى أن هذا الحريق كان فى هذا العام التى أصابت بلاد الشام صاعقة[٤] كبيرة وقيل : إن هذا الحريق كان قبل الصاعقة بعشرين يوم منه وذكر الكندي أن مسلم بن أبى خليفة المذحجى كان هو وأصحابه يوقدون فى خصاص حول الكعبة فأخذ هذا الرجل نار فى زنج رمحه وكان هذا اليوم يوم ريح فطارت منها شرارة فاحترقت الكعبة ووصلت النار إلى الخشب وإلى ثياب الكعبة والكسوة وقد ذكرت بعض كتب التاريخ أن سبب هذا

(١) تفسير الرازى ص ٦٤٦ م١٦ .
(٢) لبيك ص ٧٤ .
(٣) أخبار مكة ص ١٣٨ .
(٤) أخبار مكة ص١٣٨ .

الحريق هو ما نصب من منجنيق على جبل أبى قبيس وقيل: إن هذا الحريق هو الذى بنى بعده عبد الله بن الزبير الكعبة وقيل: إن المنجنيق قد نصب أثناء الصراع [١] بين عبد الله بن الزبير والحجاج بن يوسف الثقفى عندما أراد الحجاج تخريب الكعبة وقصد أهلها بسوء وكل من مع عبد الله بن الزبير فى عهد بنى أمية .

---

(١) الكعبة ص ٣٦.

بنو أمية والكعبة

تذكر كتب التاريخ أن الصراع عندما اشتد بين عبد الله بن الزبير وبنى أمية بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى ويزيد بن معاوية وذلك بهدف إخضاع ابن الزبير فما كان من ابن الزبير إلا أنه دخل بالحرم ليحتمى به وما كان من يزيد إلا أنه رمى الكعبة بالمنجنيق وبمئات القذائف حتى احترقت الكعبة وتصدعت جدرانها ولكن لم يكتب لبنى أمية النصر فما كان منهم إلا أنهم عادوا بهزيمتهم وعادوا إلى بلاد الشام ولكن المسلمين أخذوا ينظرون إلى الكعبة وما وصل إليه حال المسلمين من انقسام وما حدث للكعبة المشرفة .

وبعد أن انتهى هذا الصراع أعاد عبد الله بن الزبير بناء الكعبة المشرفة كما ذكرنا من قبل ولم تمض عشر سنوات بعد هذا الصراع إلا أن بنى أمية حاصروا ابن الزبير بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى بمكة وقتلوه وصلبوه على أبوابها فرحم الله ابن الزبير رضى الله عنه وعن أمه أسماء ذات النطاقين ورضى الله عن أبيها سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه .

القرامطة والكعبة

يذكر التاريخ أن القرامطة قد أغاروا على الكعبة عام ٣١٧هـ وأنهم جردوها مما بداخلها من الجواهر وأخذوا كل ما بها من صفائح الذهب ونزعوا ما بها من ستائر واقتلعوا الحجر الأسود [١] من مكانه وذهبوا به إلى قرية « هجر » بدولة البحرين لأن أبو ظاهر القرمطى قد بنى بهذه القرية بيتًا ويريد أن يصرف الناس عن الكعبة إليه كما فعل أبرهة من قبل لينال شرف الحج لكن فشل وأعيد الحجر بعدها إلى الكعبة المشرفة.

الصليبيون والكعبة

تذكر كتب التاريخ أن الصليبيين حاولوا تخريب الكعبة فى زمن السلطان نور الدين وكان ذلك فى منتصف القرن السادس الهجرى وذلك بأنهم حاولوا دخول المدينة المنورة فى موسم الحج فى زى [٢] حجاج مغاربة وذلك لسرقة جسد الرسول ﷺ ولما بلغ ذلك الناس كانوا بين مصدق ومكذب وذهل الناس ولكن لما بلغ ذلك السلطان نور الدين سيطر عليهم وضرب رقابهم.

وحفر السلطان نور الدين خندقا حول حجرة رسول الله ﷺ حتى أنه بلغ منابع الماء، ثم صب الرصاص حتى صار سورًا عظيمًا لا يستطيع أحد أن ينفذ أو يمر من خلاله وسيطر على الأمر كله قبل أن يصلوا إلى الكعبة المشرفة لتخريبها.

---

(١) لبيك ص ٧٧.
(٢) لبيك ص ١٠٥.

تخريب « تبع » للكعبة

جاء فى كتاب أخبار مكة عن الإمام الأزرقى أن تبع الأول [١] حاول هدم الكعبة وكان ذلك فى زمن خزاعة الذى تولى فيه أمر الكعبة المشرفة ولكن أهل مكة قتلوه أشد القتال هو ومن معه حتى رجع.

وقد ذكر أن التابعية الذين جاءوا بعده حاولوا هدم الكعبة ثلاث مرات أولها: ما ذكرناه وثانيها : كان فى موسم الحج بعدها وكان الثالث: فى زمن قريش وقد حاول هدم الكعبة هذه المرة جماعة من بنى هذيل قد ذهبوا إلى بنى لحيان وقالوا لهم إن للعرب بيتًا تعظمة وتذبح له فلو ذهبتم إليه وهدمتوه وجعلتم لكم بيتا تحج إليه الناس لكان لكم هذا الشرف العظيم فجمعوا الجمع حتى وصلوا عسفان فقال له أهلها هل تريد سوءًا بالبيت؟ قال أريد هدمه فقالوا: أنوى له خيرًا أن تكسوه وتذبح له ففعل سيد بنى لحيان فرفع الله عنهم الظلم فأمر بالهذليين وضرب أعناقهم وصلبهم لما فعلوه حسدًا لقريش ، على ولايتهم لبيت الله الحرام ولما وصل الكعبة نحر لها مائة من الإبل كل يوم وقد كسى الكعبة المشرفة.

---

(١) أخبار مكة ص ٧٩ .

هدم الكعبة ورفعها إلى السماء

هدم الكعبة ورفعها إلى السماء

روى الشيبانى قال :

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « يخرب الكعبة رجل من الحبشة » يقال له: « ذو السويقتيس»[١] .

وقد روى ابن عباس عن النبى ﷺ « كأنى به أسود أفحج يقلعها حجرًا حجرًا » الفحج هو التباعد بين الفخذين .

وقد ذكر حذيفة فى حديثه الذى رواه عن الرسول ﷺ : « كأنى بحبشى أفحج الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن وأصحابه ينقضونها حجرًا حجرًا ويتناولنها حتى يرموا بها إلى البحر يعنى الكعبة».

وذكر أبو الفتوح أبو الفرج بن الجوزى وهو حديث فيه طول نذكر منه قول أبو عبيدة القاسم بن سلام فى حديث على عليه السلام «استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه . فكأنى برجل من الحبشة أصعل أصمع أحمش الساقين قاعد عليهما وهى تهدم».

وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يبايع الرجل بين الركن والمقام وأول من يستحل هذا البيت أهله فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ، ثم تجيء الحبشة فيخربونه خراب لا يعمر بعده أبدًا وهم الذين يستخرجون كنزه » .

وقد ذكر أبو حامد فى كتابه مناسك الحج وغيره ويقال : لا تغرب

(١) كتاب التذكرة ص ٦٨٥ .

الشمس يوما [١] إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من ليلة إلا وطاف به واحد من الأوتاد وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة ليس فيها أثر. وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيتصفح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة واحدة ثم ترجع الناس إلى الأشعار والأغانى وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام . وقال رسول الله : « استكثروا من الطواف فقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة ».

---

(١) التذكرة ص ٦٨٦ .

فضل الحجر الأسود

فضل الحجر الأسود

للحجر فضل كبير ومكانة غالية فى نفوس المسلمين ولذلك لما جددت قريش بناء الكعبة وكان رسول الله ﷺ وقتها شاب فحاولت كل قبيلة من قبائل العرب أن تنال شرف وضع الحجر حتى أدى ذلك الأمر إلى اختلاف [١] كبير بينهم ـ وما كان منهم إلا أنهم أخذوا برأى أحدهم بأن يحكموا أول رجل يخرج عليهم .

فكانت الأقدار قد جعلت رسول الله ﷺ لمثل هذه المواقف الصعبة التى اختار فيها كبار القوم وسادات القبائل . فإذا برسول الله ﷺ يدخل عليهم ، وينصاع الجميع لما يقول فإذا هو يقترح عليهم والجميع يرضى بهذا الحكم وهو ما قاله سيدنا رسول الله ﷺ بأن يضعوا الحجر على رداء ثم ترفعه جميع القبائل فينال الجميع هذا الشرف العظيم الذى يتنافسون عليه ثم مد رسول الله ﷺ يده الشريفه ووضعه فى مكانه .

وقد روى ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: «ليأتين هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق » .

وقد روى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنه لما انتهى بالحجر الأسود فقال إنى أقبلك وإنى لأعلم أنك

(١) تفسير الرازى ص٤٠٦ م ٢.

لا تنفع ولا تضر ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»[١] .

وقيل إن هذا الحجر قد وقف عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما كان يؤذن فى الناس بالحج [٢] .

ويذكر التاريخ عن الحجر الأسود أنه لما اشتدت الحرب بين مضر وبنى نزار وهى المعروفة بحرب «إيادة» فقد خلعت بنى نزار هذا الحجر ودفنته فى جبل أبى قبيس [٣] وقد رأت ذلك امرأة من خزاعة فأخبرت قومها فاشترطوا على مضر إعادة الحجر الأسود مكانه على أن يجعلوا ولاية البيت الحرام فيهم فردت خزاعة الحجر فكانت لهم ولاية البيت وهنا ازدادت مكانة الحجر فى نفوس المسلمين كما تزداد مكانة الأحجار الأخرى عندهم مثل صخرة بيت المقدس وصخرة أيوب بقرية الشيخ سعد بالقرب من بلاد الشام وما كانت هذه المكانة للحجر الأسود فى نفوس المسلمين إلا أنهم علموا أن مكانته أكثر من ذلك عند رسول الله ﷺ خصوصًا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام قد جعل هذا الحجر بداية الطواف .

كما كان سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقف عند هذا الحجر ويقول :

« إنى لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولوا أنى أعلم أن رسول الله ﷺ قد رأيته يقبلك ما قبلتك » .

وكان سيدنا عمر بن الخطاب يقف عند هذا الحجر ويقول لسيدنا على

---

(١) تفسير الرازى ص ٤٠٧ م٢.
(٢) تفسير الرازى ٣٥٥ م٤.
(٣) المحمل والحج ص١٠٦.

ابن أبى طالب يا أبا الحسن هنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات، وقد تعرض هذا الحجر للسرقة على يد القرامطة ونقلوه إلى قرية «هاجر» بدولة البحرين (١) لكنه أعيد مكانه فى خلافة المطيع لله الفضل بن المقتدر عام ٣٣٩هـ .

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : « الركن يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه» (٢) .

وعن ابن عباس قال: لما هبط (٣) آدم عليه السلام إلى الأرض أنزل معه الركن والمقام فعظمهما آدم وأنس بهما وقال رسول الله ﷺ: «استلام الركن الأسود والركن اليمانى يحط الخطايا حطًا ».

وعن عبد الله بن عمر قال : إن جبريل عليه السلام نزل بهذا الحجر من الجنة (٤) ووضعه حيث رأيتم وإنكم تزالون بخير ما دام بين ظهرانيكم فتمسكوا به ما استطعتم فإنه يوشك أن يجىء فيرجع به من حيث جاء.

وقد مدح أحد الشعراء هذا الحجر قائلا (٥) :

إلى سيد الأحجار فى الحرم الذى
قضى الخالق البارى بتعظيم شأنه
حثثنا مطايا الشوق والسوق فى الفلا
فجاءت بنا إنسان عين زمانه

---

(١) المحمل والحج ص ١٠٦ .
(٢، ٣) أخبار مكة ص٢١٩.
(٤) أخبار مكة ص ٢٢٠.
(٥) المحمل والحج ص ١١٢.

وقد تصدع هذا الحجر فى زمن عبد الله بن الزبير ولكنه عندما أعاد بناء الكعبة عام ٦٣هـ ، شده بإطارات من الفضة وقد اعتنى به هارون الرشيد وحلاه بالماس وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « كان هذا الحجر أشد بياضًا من الثلج فسودته خطايا أهل الشرك» .

وقد جعل الله لهذا الحجر فضائل عديدة فقد جعله طينًا لينًا تحت قدم سيدنا إبراهيم عليه السلام لتكون لقدميه أثر باقية إلى يوم القيامة.

فضل مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام

فضل مقام إبراهيم عليه السلام

السلام على المقام وعلى صاحب المقام فقد قال الله تعالى فى مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥]، لأن الله سبحانه وتعالى قد خص هذا المكان بالأمن والشرف وجعله مكانًا مباركًا لما يعلمه . وقد قيل :إن هذا المقام هو الموضع الذى وضعت به زوجة سيدنا إسماعيل عليه السلام الحجر عندما غسلت [١] رأس سيدنا إبراهيم فوضع سيدنا إبراهيم عليه رجله.

وقد روى ابن عباس وسعد بن جبير أن هذا المقام هو مكان الحجر الذى وضع سيدنا إبراهيم عليه السلام قدميه وهو يبنى البيت الحرام وهو وسيدنا إسماعيل عليهما السلام وقد حدد مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام فمنهم من قال : إنه الحرم كله ومنهم من قال: إنه عرفة والمزدلفة والجمار.

وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه مر بالمقام هو وسيدنا عمر بن الخطاب فقال سيدنا عمر: أفلا نتخذه [٢] مصلى فقال رسول الله ﷺ: «لم آمر بذلك» فلم تغب شمس ذلك اليوم حتى نزلت هذه الآية .

وعن الزهرى قال : بلغنى أنهم وجدوا فى مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام ثلاثة صفوح فى كل صفح كتاب الصفح الأول مكتوب فيه [أنا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك

(١) تفسير الرازى ص٤٠٣ م٢.
(٢) تفسير الرازى ص ٤٠٣ م٢.

حقًا وباركت لأهلها فى اللحم واللبن].

ومكتوب فى الصفح الثانى :

[أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسم من اسمى من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته] [١] .

ومكتوب فى الصفح الثالث :

[أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لأضاءا ما بين المشرق والمغرب وما مسهما ذو عاهة ولا سقيم إلا شفى»[٢].

(١) تفسير الرازى ص ٤٠٧ م ٢.
(٢) تفسير الرازى ص ٤٠٧ م٢.

فضل الأشهر الحرم

قال تعالى : ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾ [المائدة : ٢] .

ويذكر المفسرون أن هذه الآية الكريمة أمر من الله سبحانه وتعالى بألا يحلوا ما حرم الله عليهم فى هذه الشهور الأربعة لأن العرب فى الجاهلية كانوا لا يعتبرون الصفا (١) والمروة من شعائر الله فى الحج وكانوا لا يسعون بينهم وأما الهدف من الأشهر الحرم هو تحديد تحريم القتال فيها تعظيما لها لما لها من مكانة عند الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة: ٣٦] .

والأشهر الحرم هى أربعة أشهر كما أخبرنا القرآن الكريم وهى [شهر ذو القعدة ـ وشهر ذى الحجة ـ وشهر المحرم ـ وشهر رجب] .

وكان العرب يعظمون هذه الشهور الأربعة ويحرمون القتال فيها وكل فرد يكون فى أمان ، حتى من عدوه وكانت هذه الأشهر يجمعون فيها أقواتهم التى تكفيهم طوال العام ، وكانوا يعظمون هذه الشهور ويضعون القلائد (٢) فى رقاب الإبل .

وكان سبب تحريم هذه الأشهر هو أن يشعر حجاج البيت الحرام وضيوف الله بالأمان حتى أنه كان يحرم على أى إنسان أن يقتل عدوه ولو

---

(١) تفسير الرازى ص٥٥١م٥. (٢) المحمل والحج ص ١٣٩.

كان قاتل أبيه أو قاتل ابنه ، وكانوا يقومون شعائر الحج فى العام مرتين مرة فى موسم الحج والثانية فى شهر رجب بما كانوا يسمونه الرجابية [١] وكانوا يسمون رجب بشهر الله الأصم ، لأنه كان لا يسمع فيه صوت السلاح ولا صوت استغاثة وكان شهر رجب يسمى عندهم بشهر رجب ربيعة [٢] ورجب مضر لأن مثل هذه القبائل الكبيرة كاد أن يكون لها تقـويم تاريخى خاص بها ولكن كان هذا التقويم يتشابه مع بعضه ، وكان إذا حل شهر رجب فى أيام النسىء[٣] فكانوا ينادون فى الناس ويقولون : [اللهم إنى أحللت رجب القادم وحرمت شعبان] .

ولذلك كانوا يسمون رجب وشعبان بالرجبين.

---

(١) المحمل والحج ص ١٣٩ .
(٢) الحج وكيف نؤديه ص ١٧ .
(٣) المحمل والحج ص ١٤٠ .

دعاء الرسول للكعبة فى حجة الوداع

حج رسول الله ﷺ فى العام العاشر الهجرى وهى ما نعرفه أو ما نسميه حجة الوداع فقد خرج رسول الله ﷺ للحج يوم السبت وقيل: يوم الخميس أيام بقين من ذى القعدة وقد استخلف على المدنية أبا دجانة [١] الأنصارى وكان مع رسول الله ﷺ من المسلمين تسعين ألف أو يزيد وخرجوا ليتعلموا من رسول الله ﷺ المناسك فى الحج وليقتدوا به فى حجته . وبعد أن أحرم رسول الله وركب راحلته ، ثم لبى قائلاً : «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

ولم يزل رسول الله ﷺ سائرًا حتى دخل مكة ضحى من الثنية العليا وهى ثنية «كداء» [٢] ولما رأى بيت الله الحرام دعا قائلاً :« اللهم زده تشريفًا وتعظيمًا ومهابة وبرًا » ثم طاف رسول الله ﷺ سبعًا واستلم الحجر الأسود وصلى ركعتين عند مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام ثم شرب من ماء زمزم ثم سعى بين الصفا والمروة سبعًا راكبًا على راحلته وكان رسول الله ﷺ إذا صعد الصفا يقول [٣] : «لا إله إلا الله ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » وفى الثامن من ذى الحجة توجه إلى منى فبات بها ، وفى التاسع منه توجه إلى جبل عرفات، وهناك خطب خطبة حجة الوداع.

---

(١) لبيك ص ٢٠.

(٢) لبيك ص ٢١ .

(٣) إرشادات الحج ص ٣١.

خطبة حجة الوداع

قال رسول الله ﷺ فى خطبة حجة الوداع [١] :

« الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذى هو خير ، أما بعد :

أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا ؛ أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت ؟

اللهم فاشهد . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. إن ربا الجاهلية موضوع وإن أول ربًا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب . وإن دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة ابن الحارث .

وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر فيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

(١) نور اليقين ص ٣٧٥ .

أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

أيها الناس إن النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عامًا ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض.

وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق الله السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت اللهم اشهد؟ .

أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حقا ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة . فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن لا تعضلوهن [الحبس والتضيق عليهن] . وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وإنما النساء عندكم عوان ولا يملكن لأنفسهن شيئا ، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرًا ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد .

أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد فلا ترجعن بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده

كتاب الله ، ألا هل بلغت ؟ الله اشهد .

أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمى إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

أيها الناس إن الله قسم لكل إرث نصيبه من الميراث ولا تجوز لوارث وصية ولا تجوز وصية أكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر [إقامة حد الزنا] من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله » .

وفى هذا اليوم أنزل الله قوله تعالى من سورة المائدة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ .

ثم أكمل رسول الله ﷺ بعد هذه الخطبة مناسك الحج من رمى الجمار والنحر والحلق والطواف ، وأقام رسول الله ﷺ بمكة عشرة أيام ثم توجه إلى المدينة المنورة وكان يكبر ثلاثا ويقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .

أحاديث فى الحج

روى ابن عباس رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : « من أراد الحج فليعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتكون الحاجة » (١) .

وقال رسول الله : « يقول الله عز وجل: إن عبدًا صححت له جسمه ووسعت عليه المعيشة تمضى عليه خمسة أعوام لا يفيد إلى المحروم» وقيل فى حديث آخر « فاليموت يهوديًا أو نصرانيًا إن شاء»(٢).

وعن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمون على الله إن قبض أن يدخله الجنة ، وإن رده رده بأجر وغنيمة ».

وقال رسول الله ﷺ:« من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ قال: «يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا » ، فقال رجل أكل عام يا

(١ ، ٢) المحمل والحج ص٧.

رسول الله . فسكت قال الرجل أكل عام يا رسول الله . فسكت ، فقال الرجل أكل عام يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ: « لو قلت نعم لوجبت وما استطعتم» .

وعن عبد الله بن أبى قال سألت رسول الله ﷺ . قال سألت رسول الله عن رجل لم يحج أيستقرض للحج ، قال رسول الله «لا».

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أن رسول الله ﷺ : سمع رجلاً يقول لبيك عن شبرمة فقال رسول الله : « أحججت عن نفسك » قال . لا قال رسول الله ﷺ : « فحج عن نفسك ثم حج عن شبرمــة»[1] .

وقال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس فرض عليكم الحج فحجوا»، وقال رسول الله : «أفضل الجهاد حج مبرور» [2] .

وقال رسول الله ﷺ : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

وقال رسول الله ﷺ : « الحاج والغازي وفد الله عز وجل وإن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم ».

وقال رسول الله ﷺ : « تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد ».

وقال رسول الله ﷺ : « الحجاج والعمار وفد الله يعطيهم ما سألوه ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف عليهم ما أنفقوا الدرهم بألف ألف ».

---

(١) فى ظلال القرآن ص ٤٤ .

(٢) فى ظلال القرآن ص ٤٢ .

وقال رسول الله ﷺ : « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج».

وقال رسول الله ﷺ : « من مات فى الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة ومن زارنى محتسبًا إلى المدينة كان فى جوارى يوم القيامة»[1].

وقال: « من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهوديًا أو نصرانيا» [2] .

قال رسول الله ﷺ : «من ملك زادًا وراحلة تبلغه بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا » .

(١ ، ٢) المحمل والحج ص٦ .

أماكن مقدسة

١ ـ غار ثور [1] :

يقع غار ثور فى جبل ثور فى الجهة الجنوبية من مكة ومن المعروف أن هذا الجبل به الغار الذى احتضن الدعوة الإسلامية فى بدايتها وهو الغار الذى استراح به الرسول ﷺ هو وسيدنا أبو بكر الصديق وهما فى طريقهما إلى المدينة المنورة أثنـاء الهجـرة النبويـة من مكـة إلى المدينة المنورة .

٢ ـ غـار حـراء :

يقع هذا الغار بجبل النور وهو الغار الذى كان يذهب رسول الله ﷺ ليتعبد [2] فيه قبل البعثة رفضًا بعقله وفطرته التى فطرها الله عبادة الأصنام التى يعبدها أهل مكة فكان رسول الله ﷺ يجلس فيه يتفكر فى خلق السموات والأرض وفى كل ما حوله فى هذا الكون وفى هذا الغار نزل عليه سيدنا جبريل لأول مرة ليبلغه أمر ربه تبارك وتعالى وكان فى هذا الغار نزول أول آية من آيات القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ [العلق] .

---

(١) لبيك ص ٨٥.
(٢) لبيك ص ٨٨.

٣ ـ أثار موقعة بدر :

وهى قرية تقع على الطريق المؤدى إلى المدينة وتقع هذه القرية بين كثبان الرمال وعلى أرض هذه القرية كان اللقاء لأول مرة بين الحق والباطل فَنُصِرَ الحق وهزم الباطل وبهذه القرية بئر بدر التى سميت غزوة بدر الكبرى [١] نسبة إليه .

٤ ـ المسجد النبوى :

المسجد النبوى بالمدينة المنورة وقد قال رسول الله ﷺ فيه : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » .

وقد قال الإمام مالك: إننى أخشى أن أركب دابة بالمدينة خشية أن تدوس الدابة مكانا مشى به رسول [٢] الله ﷺ أو يقع حافرها عليه. وقال رسول الله: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة».

مسجد القبلتين :

هذا المسجد هو أحد مساجد المدينة المنورة الشهيرة وقد صلى رسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى ستة عشر شهرًا وكان يتطلع إلى أن تحول القبلة إلى المسجد الحرام قبلة سيدنا إبراهيم وقد أراد الله سبحانه وتعالى لهذا المسجد الشرف العظيم بأن تحول القبلة فيه إلى المسجد الحرام ، فقد صلى رسول الله صلاة العصر يومها إلى المسجد الأقصى ولما نزل أمر الله

---

(١) لبيك ص ٩٩.
(٢) لبيك ص ١٠٥.

بتحويل القبلة حول رسول الله وجهه إلى المسجد الحرام وهو فى صلاته ولذلك سمى هذا المسجد بمسجد القبلتين[١] .

البقيع :

البقيع وهو المكان الذى دفن به عشرات وعشرات من صحابة رسول الله ﷺ ودفن به عشرات وعشرات من شهداء المسلمين وأهل بيت النبوة وقد أقيم سور فاصل بين البقيع والمدينة المنورة وقد أقام هذا السور عضد الدولة بن بويه عام ٣٦٠هـ [٢] وقد هدم وجدده جمال الدين الأصبهانى عام ٥٤٠هـ وقد جدده سليمان القانونى عام ٩٤٨هـ وكان طوله أربعة آلاف ذراع .

مسجد قباء :

هو أول مسجد أقامه رسول الله ﷺ فى الإسلام بعد أن دخل المدينة المنورة هو وسيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقد نزل فيه قول الله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ [التوبة : ٢١٨] .

وكان رسول الله، يذهب إليه كل يوم سبت فيصلى فيه الركعتين[٣] وقال رسول الله ﷺ : « من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه فكانت له كأجر عمرة » .

مقابر المعلاة[٤] :

تقع هذه المقابر فى مكة عند مدخلها من جهة الحجون وهذه المقابر

---

(١) ليك ص ١٢٣ . (٢) ليك ص ١٠٨.
(٣) ليك ١٢٤ .
(٤) ليك ص ٨٩.

هى مثوى أهل مكة منذ أيام الجاهلية وهى أحد الجبال وبها دفن عبد المطلب جد رسول الله ﷺ وأبو طالب عمه الذى نصره وحماة وقبر السيدة خديجة رضى الله عنها زوجة رسول الله وبها قبر السيدة أسماء بنت أبى بكر التى قالت لابنها عبد الله بن الزبير بعد أن تخلى عنه من كانوا معه: أرى يا ولدى أن تخرج للقتال ما دمت على حق، فقال لها: أخشى أن يمثلوا بى فقالت له قولتها الشهيرة: وهل تضار الشاة من السلخ بعد الذبح ؟ .

البيت المعمور :

روى سيدنا على بن أبى طالب . قال: البيت المعمور فى السماء يقال له: الضراح [١] وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته فى السماء وكحرمة البيت فى الأرض يصلى كل يوم فيه سبعون ألف من الملائكة لا يعودون إليه أبدًا .

وقال تعالى فى سورة الطور : ﴿ وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ ﴾ [الطور] .

وقيل: إن البيت المعمور فى السماء العليا عند العرش العظيم ووصفوه بالعمارة لكثرة الطائفين حوله من الملائكة .

وقد ذكر بعض المفسرين أن الأماكن الثلاثة وهى [الطور - والبيت المعمور - والبحر المسجور] [٢] كانت للأنبياء ينفردون بالعبادة والخلوة

(١) تفسير الرازى ص ٤٠٦ م٢.
(٢) تفسير الرازى ص ٥٥٥ م ١٤ .

لربهم والإخلاص والخطاب مع الله فالطور مكان تكليم سيدنا موسى لربه . وقيل : إن البيت هو سيدنا محمد ﷺ وأن البحر المسجور هو سيدنا يونس عليه السلام لأن سيدنا يونس عليه السلام ذكر الله وهو فى بطن الحوت، وقال : ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] .

وقيل : إن رسول الله ﷺ لما وصل سدرة المنتهى قال : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

(١) تفسير الرازى ص ٦٩٣ م١٥ .

العرش العظيم

١ ـ حملة العرش

٢ ـ وكان عرشه على الماء

٣ ـ الاستواء على العرش

٤ ـ صفات العرش

حملة العرش

قال تعالى :

﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحاقة : ١٧] .

قال أحد المفسرين أن الثمانية تعنى هنا ثمانية أشخاص أو ثمانية مئات أو ثمانية آلاف أو ثمانية صفوف أو ثمانية آلاف صف [١].

وقال رسول الله ﷺ : « حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى فيكونون ثمانية وقيل أرجلهم في تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صور الأسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وقيل ما بين أخلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عامًا.

وقيل إن أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وقيل الأربعة الآخرون يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وهذا التسبيح وهذه الأعداد دليل على التعظيم والتهليل وقيل لو لم يكن الله على العرش لكان حمل العرش بدون فائدة » .

وقال تعالى :

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ

(١) تفسير الرازى ص ٦٩٣م ١٥ .

بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزمر: ٧٥] .

وقد ذكر الله أن جزاء عباده الصالحين والمتقين هو الجنة وقد ذكرت هذه الآيات ثواب الملائكة وهو جوانب العرش وأطرافه ومعنى هذا أنهم محلقين بالعرش لأن عملهم كان التسبيح والتحميد لله سبحانه وتعالى وهذا يدل على أن الملائكة على مراتب متفاوته ومنازل تعلوها منازل وتدل هذه الآيات على أن الملائكة يحمدون الله على كل شيء خصوصًا أنه قضى بينهم بالحق لأنه صفة من صفاته.

وهذا جزاؤهم على التسبيح والتحميد والتمجيد لله والتعظيم له أن تكون لهم هذه المنزلة العالية خصوصا أن العرش ملاصق لجوانب الجنة[1] .

وهذا التسبيح والتعظيم هو اعتراف من الملائكة بقدرة الله سبحانه وتعالى على كل شيء خلقه خصوصًا أنهم عجزوا عن حصر ثناء الله ورحمته وفضله وجوده وإحسانه لأنه صفاته تعلو فى نفس ذاته لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى لأنه لم يطلع مخلوقاته ولو كانت الملائكة على العديد من هذه الصفات لأنه لا يعلم منزلتها ولا مقامها إلا هو سبحانه وتعالى .

(١) تفسير الرازى ص ٤٨٨ م ١٣ .

قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ⑦ ﴾ [غافر : ٧] .

حملة العرش هم أشراف الملائكة (١) وأكابرهم وقيل عنهم أن أرجلهم فى الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم أي أعينهم .

وقال رسول الله ﷺ : « لا تتفكروا فى عظم ربكم ولكن تفكرو فى عظم ما خلق ربكم فقد خلق الله من الملائكة إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وأنه يتضاءل من عظمة الله كأنه طائر وقد فضل الله سبحانه وتعالى حملة العرش على جميع الملائكة وأمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة وقيل إن الله سبحانه وتعالى خلق العرش من جوهرة خضراء وقيل بين قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألفا من الملائكة يطوفون بالعرش مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم(٢) .

رافعين أصوتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل وكل واحد منهم يسبح الله ولا يسبح أحد

(١) تفسير الرازى ص ٤٩٩م ١٣ .
(٢) تفسير الرازى ص ٥٠٠ م١٣ .

منهم بما يسبح به الآخر وقيل إن هؤلاء الملائكة هم أشرف المخلوقات ولا يليق أن يكون أفضل الجسمانيات وهى العرش لا يطوف حوله إلا أفضل الملائكة وأن هؤلاء الملائكة يسبحون بحمد الله كما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [غافر: ٧] وأنهم يؤمنون به كما قال تعالى : ﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ لأن التسبيح لا يكون إلا بالإيمان لمن يسبح باسمه وهذا من باب الشكر لله والسعادة بهذه المنزلة كما أن هؤلاء الملائكة يستغفرون للذين آمنوا وقيل إن هذا الاستغفار ما هو إلا شفاعة عند الله سبحانه وتعالى للذين آمنوا على بعض ما فعلت أيديهم من ذنوب تابوا عنها بعد ذلك وآمنوا بربهم .

وكان عرشه على المــاء

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود : ٧] .

قيل فى تفسير هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى عندما أراد خلق العرش كان فى البداية ياقوتة خضراء ثم نظر الله إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد بإذن الله تعالى ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقيل إن العرش والماء كان قبل السموات والأرض[١] .

وهذا دليل على أن العرش أعظم عند الله تبارك وتعالى من السموات والأرض وأعظم من كل المخلوقات وسئل رسول الله ﷺ أين كان الله ؟

قال رسول الله ﷺ : « كان فى عماء فوقه هواء وتحته هواء ».

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾ [يونس : ٣] .

وقيل فى ذلك أن الاستواء على العرش معناه مستقراً عليه وهو الحافظ والممسك للعرش ولا يجوز أن نقول العكس وكان الله قبل خلق العرش غني عن العرش والله سبحانه وتعالى بنى عرشه على الماء ليعرف العقلاء قدرته وكمال جلالته وقيل إن الاستواء على العرش معناه الاعتلاء عليه

---

(١) تفسير الرازى ص ٤٧٦ م٨.

بالقهر. وقيل المقصود من العرش وهو الجسم العظيم فى السماء هو الملك وذلك لإدارة حركة الكواكب والأفلاك وليقضى أمور حكمه فى كونه[١] .

وقال تعالى :

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩) ﴾ [٢] [التوبة : ١٢٩] .

قيل هذه صفة من صفات الله التى تدل على الكمال والجلال.

وقال تعالى :

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وقيل فى تفسير هذه الآية أن الكرسى جسم عظيم يسع السموات والأرض وقيل الكرسى هو نفس العرش وقيل الكرسى غير العرش وأنه دون العرش وفوق السماء السابعة .

وقال البعض أن الكرسى تحت الأرض وقيل الكرسى هو القدرة والسلطان والملك وقيل الكرسى هو العلم لأن العلم هو موضع العالم لأن العلم هو الشىء المعتمد عليه وكل هذا يدل على عظمة الله وكبريائه وأن الله جعل لنفسه عرشًا وكرسيًا وذلك دليل العظمة والكمال والجلال والعدل فى محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين .

---

(١) تفسير الرازى ص ٢٥٠ م ٨ .

(٢) تفسير الرازى ص ٥٣٤ م٣.

الاستواء على العرش

قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والأرض فى ستة أيام وقد ذكر ذلك فى التوراة وذكر ستة أيام هو دليل على الدقة فى خلق وتركيب الكون وأن كل شىء مقدر بتقدير بالغ التنظيم وهذا دليل على التواصل والحكمة فى التنظيم الكونى ولكن ليس معنى الاستواء هنا تحديد حيز الذات الإلهية بالوجود ولكن معنى هذا هو الاستواء على الملك وهذا معناه القدرة القادرة على تدبير شئون هذا الكون وكل ما فيه بنفاذ قدرته على كل ما فى الكون .

وقد ذكر الله بعدها قوله تعالى :

﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ وهذا دليل على القدرة فى تدبير شئون هذا الكون لأن يغشى معناها إلباس الشىء بالشىء (١) .

وهذا يدل على سرعة تعاقب الليل والنهار وذلك من خلال حركة الفلك الأعظم وهذا دليل على أن كل من الشمس والقمر لكل منهما حركتان الأولى تحدث كل عام والثانية فى اليوم والليلة وهذا التبادل بينهم

(١) تفسير الرازي ص ١٢٠ م ٨.

ليس دليل على حركة كل منهما فقط ولكن دليل على حركة الفلك الأقصى بدقة عجيبة . وهذا دليل على أن كل ما فى هذا الكون مسخر لإرادة الله سبحانه وتعالى بالحركة أو بالكسون المقدر له. وكذلك كل الأجسام المتماثلة .

وذلك لأن الأجسام على ثلاثة أقسام ما هو متحرك إلى الوسط وهو الثقال ومنها ما هو متحرك عن الوسط وهو الخفاف ومنها ما هو متحرك عن الوسط وهى الأجرام الفلكية والكوكبية لأن لكل جسم من هذه الأجسام حركة معينة خاصة به وذلك تدبير خلق كل هذه الأجسام ودليل الحكمة والقدرة على هذه الأجسام وعلى حركتها مثل حركة الشمس مع القمر وتبادل الضياء مع ظلام الليل وخصوصًا أن هذه الأجسام والأجرام وغيرها فى حركة مستمرة كما هو مقدر لها وحسب ما يشاء ويريد لها الله سبحانه وتعالى .

وقال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ [الرعد : ٢] .

وهذا دليل على أن السموات والأرض بغير أعمدة يشير إلى أن كل شيء مسخر لله وأن الخلأ لا حيز له ولا نهاية له وأنه غير متناهى لا يعلم محدوديته إلا الله سبحانه وتعالى .

ودل الله على ذلك بأنه لا أعمدة يراها الناظر إلى السماء وهذا دليل على أن خالق السموات هو خالق قادر على ذلك وأكثر .

ولكن قد ذكر البعض أن للسماء أعمدة غير مرئية كما قيل إن هذه الأعمدة على جبل «قاف» وقيل عن هذا الجبل أنه من « زبرجد » وهو محيط بالدنيا (١) .

كما ذكر البعض أن هذه الأعمدة هى قدرة الله على رفع السموات والأرض وذلك بالتدبير والتسيير والحفظ مثل حركة الشمس والقمر للشمال والجنوب وقد ذكر ابن عباس أن للشمس مائة وثمانون منزلاً وأن كل يوم لها منزل وذلك يتم كل ستة أشهر ثم تعود إلى واحد منها بعد الستة أشهر وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلا (٢).

وأن كل من هذه الأجسام والأفلاك والأجرام التى تدور فى فضاء الله هى مقدر لها ذلك إلى يوم القيامة أو كما أراد الله من عمر فى علم هذا الكون الذى قدره له الله قبل بداية خلق هذه الأجسام .

وهذا التقدير بكل ما فيه من دقة ونظام ما هو إلا دليل على قدرة الله تبارك وتعالى ودليل على إلهية الله وعلمه وحكمته لكل الموجودات فى هذا الكون بما يتعاقب عليها بعد ذلك من ليل ونهار ومن شمس ومن قمر ومن ضياء وظل وفقر وغنى وهرم وصحة وغيرها من المتعاقبات المقدرة من الله لجميع مخلوقاته .

وقال تعالى :

﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه : ٥] .

وهذا دليل على أن الله تبارك وتعالى يجرى شئون كونه برحمة ودقة

(١) تفسير الرازى ص ١٧٩ م٩.
(٢) تفسير الرازى ص١٨٠ م٩.

وتنظيم إلهى لا يمكن أن يصل إليه عقل مهما كانت قدرته على التفكر فى خلق هذا الكون إلا من رزقه الله من خيرات وفيوض علمه لأنه وحده هو مالك الملك ، ومالك ما فوق الثرى وما تحت الثرى ولا يعلم ما يدور فى كل الكون إلا الله لأنه هو الذى قدر له الحركة أو السكون وأن الله سبحانه وتعالى قد أخفى هذه الأسرار وجعلها فى علم ذاته وهذا السبب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى لأنه هو الذى قدر ذلك على مخلوقاته .

كما تعهد برزق كل هذه المخلوقات ولكن الله قدر كل ذلك ليكون لعباده محل تفكر وتدبر واعتراف بالوحدانية والوجودية لله وليكون اختبار لهم ويحاسب كل عباده على ما هم عليه من نعم وشكر أو غير ذلك لأن العباد يجب عليهم التصديق والتعظيم بالعبادة والتفكر فى خلق السموات والأرض وكل ما حولهم من أسرار ومقدرات فى علم الله سبحانه وتعالى كما أن هذه صفة من صفات الله سبحانه وتعالى الذى سمى ووصف به نفسه مثل الرحمة والعظمة والعدالة كما أن الله تبارك وتعالى قد وصف نفسه بصفات وقد استأثر لنفسه هذه الأسماء والصفات فلا يعلمها إلا هو ولكنه يعلم بعض منها لم يختاره ليعلمه من علوم أسراره .

قال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [السجدة : ٤] .

يقول بعض المفسرين فى هذه الآية أن خلق السموات والأرض فى ستة أيام هذا دليل على خلقها فى ستة أحوال فى نظر الناظرين وذلك بالنظر

إلى خلق ذات السموات والحال الثانى خلق صفات السموات ، والحالة الثالثة النظرة إلى ذات الأرض والحالة الرابعة النظرة إلى صفات الأرض والنظرة الخامسة إلى صفات ما بين السموات والأرض من مخلوقات والحالة السادسة هى النظرة إلى التفكر فى قدرة الله سبحانه وتعالى والذى يهبها لعباده المخلصين الذى يريد لهم أن يكون خير العباد على يديهم لمنفعة البشرية .

وهذا من باب التفكر فى خلق السموات والأرض ولا يجب هنا تحديد صفات الاستواء على العرش لأن ذلك سر من أسرار الله سبحانه وتعالى ولايجب أولا يجوز لأحد أن يحدد صفات هذا الاستواء لأنه لم يراه رأى العين . لأن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] (١) ومعنى هذا أن العرش هالك .

(١) تفسير الرازى ص ٥٤٠ م١٢.

صفات العرش

قال تعالى :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً (٤٢) ﴾ [الإسراء: ٤٢] .

هذه الآيات تدل على أن الخالق والمسيطر على الكون واحد وهذا دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى وذلك بأن كل شىء مسخر لأن بالفرض لو هناك آلة أخرى لكان هناك صراع وخلاف على التنظيم الكونى لكل ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما من مخلوقات لا يعلمها إلا الله لأن كل شىء يسبح بحمد الله وإن كنا لا ندرى كيفية التسبيح لهذه الكائنات والمخلوقات لأنه سر من أسرار الله فى خلقه .

وقال تعالى ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) ﴾ [الأنبياء: ٢٢] وهذه الآية تدل على أن الله سبحانه وتعالى لا شريك فى شئونه خصوصًا أن هؤلاء قد غاب عقلهم وقالوا إن هذه الأصنام التى يعبدونها أنها شريك فى المحسوسات مع الله فى وجودية هذه الأشياء فى الكون وهذا مخالف للعقل لأنها من جماد.

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)﴾ [النحل: ٢٦] .

هذه الآية تدل على أن كل شىء فى السموات أو الأرض أو غيرها من المخلوقات فى حاجة إلى مدبر لشئونها وأموره خصوصًا أن تدبير كل

هذه الشئون لا يقابله إلا السجود لله تبارك وتعالى وذلك تقديرًا على عظمته وصفاته وقدرته على كل ما يريد فعله فى هذا الكون من قديم أومن حديث وذلك لأن الله يدبر كل شىء بنظام ودقة وحكمة خصوصًا ما يدور فى أفلاك ذاته لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

وقال تعالى : ﴿ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التكوير : ٢٠] .

يقول بعض المفسرين إن معنى مكين أنه ذو الجاه الذى لا يعطى بقدرته وحكمته وتقديره وأنه مطاع ومعظم وأنه معصوم من الزلل والخيانة.

وقال تعالى : ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [البروج: ١٥].

المجيد معناها ذو الرفعة والتعالى والتعاظم والجلال والكمال وهذه الصفات لا تكون عالا لله سبحانه وتعالى ومجد الله هو عظمته ومقدرته وكماله وقدرته وحكمته وعلمه بكل شىء لأن صفة العرش بالمجيد معناه أنه أحسن الأجسام تركيبا وصورةً.

قال تعالى :

﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الزخرف : ٨٢] .

الله سبحانه وتعالى يبين لنا أن الذين قالوا أن لله ولد وله شريك فى الملك أنه برىء من كل هذه الادعاءات وأنه سبحانه وتعالى عرشه مجيد وعرشه عظيم لا وصف له ولم يكن لأحد عرش ولا كرسى مثله لأنه لا لأحد فى الوجود مثل صفاته وأسمائه وقدرته على تسخير هذا الكون بما فيه من مخوقات خلقها وسخرها لإرادة ذاته ويجرى عليها ما يريد من حركات وسكنات قدرها لها بقدرته وقوته الناقد عليها.

الخاتمـــة

الحمد لله والشكر لله الذى أعاننى على أن قمت بعمل الكتاب الأول عن قبلة المسلمين الأولى تحت عنوان « القدس تاج العرب » وله الحمد الذى أعاننى على هذا الكتاب حول الكعبة المشرفة والذى هدانى الله إليه بهذا العمل ليكون عونًا للباحثين والراغبين فى معرفة أخبار الكعبة ولقد شرفنى الله تبارك وتعالى بعد أن تم طبع هذا الكتاب وعندما انتهيت من مراجعة البروفة الثانية فقد شرفنى الله تبارك وتعالى بأننى رأيت فى منامى أن أخى العزيز الأستاذ/ جابر السعيد حجاج بيده مفاتيح الكعبة ففتح لى الكعبة ودخلتها ودعوت الله ثلاث دعوات بهذا النص « اللهم فانصر الإسلام ، اللهم فانصر مصر ، اللهم فانصر العراق ».

ثم صليت داخل الكعبة وسجدت بها من الداخل ووجدت بها نورًا سبحان الله لا يرى له مصدر ولا منبع .

وأخيرًا أدعو الله أن تتحقق لى هذه الرؤية وأن أدخل الكعبة وسوف أتقدم بإذن الله تعالى بطلب إلى المسئولين فى المملكة العربية السعودية للتصريح لى بدخول الكعبة.

وأسأل الله القبول .

المؤلف

جهاد حجاج

أهم أعمال المؤلف

القدس تاج العرب : الدار الذهبية ، بالقاهرة .

حضارة مصر الفرعونية : الدار الذهبية ، بالقاهرة .

غدر اليهود بالأنبياء : الدار الذهبية ، بالقاهرة .

فى بيت الرسول : الدار الذهبية ، بالقاهرة .

زوجات وأمهات الأنبياء : الدار الذهبية ، بالقاهرة .

تاريخ وحياة بنى إسرائيل : دار العلم والإيمان ، بدسوق .

يسألونك : دار العلم والإيمان ، بدسوق .

دليل تربية العظماء : دار العلم والإيمان ، بدسوق .

التداوى بالماء : دار العلم والإيمان ، بدسوق .

أيام حول الكعبة : مكتبة الإيمان بالمنصورة .

بالإضافة إلى العديد من الموضوعات الأخرى التى ما زالت تحت الطبع والنشر .

وأسأل الله أن تكون هذه الأعمال خالصة لوجهه تعالى .

المؤلف

جهاد حجاج

الفهرس